منح رب البرية في فتح رودس الأبية

عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباسي

د. فيصل عبدالله الكندري

قسم التاريخ - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - الحولية الثامنة عشرة - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

المؤلف :

فيصل عبدالله الكندري

- دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة مانشستر/ بريطانيا عام ١٩٩٣ .
- قسم التاريخ - جامعة الكويت .
- التخصص الدقيق : تاريخ الدولة العثمانية

بحوث منشورة :

- بحث باللغة الإنجليزية بعنوان : "Salman Reis and His Report of 931 h. / 1525" في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد السابع والثامن ، تونس (زغوان) ، أكتوبر ١٩٩٣ ، ص ١٠٣ - ١٢٦ .
- «سلمان ريس وتقريره لعام ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٤٨ ، جامعة الكويت ، صيف ١٩٩٤م ، ص ١١٧ - ١٤٥ .
- «رسالة السلطان القانوني إلى حاكم البحرين» ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٧٧ ، جامعة الكويت ، إبريل ١٩٩٥م ، ص ٨١ - ١٠٦ .

المحتوى

قائمة الخرائط

ملخص

ثمة مخطوطات عربية كثيرة في مكتبات دول العالم وأرشيفاتها ، وتعتبر الجمهورية التركية من أغنى الدول التي تمتلك مجموعات كثيرة منها ، ومن خلال البحث في مكتبة قصر طوب قابي Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi بمدينة استانبول ، تم العثور على مخطوطة نادرة ، تحمل رقم خزينة Hazine No 1599 وهي «مِنَح ربِّ البريّة في فتح رودس الأبية» ، للمؤلف عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباسي ، الذي ينحدر من أسرة عريقة اشتهرت بالقضاء .

وُلد عبدالرحيم في القاهرة يوم السبت ٢٤ رمضان ٨٦٧هـ/ ١٢ يونيو ١٤٦٣م ، ودرس العلوم الأدبية والشرعية على علماء عصره ، وعاش بالقاهرة إلى أن خضعت للحكم العثماني في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، فذهب إلى القسطنطينية ومكث فيها إلى أن توفي هناك عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م .

ترك العباسي العديد من المؤلفات في مختلف العلوم ، ومن أهمها المخطوطة موضوع الدراسة ، وتأتي أهمية المخطوطة مِنْ كونها كتبت بلغة عربية واضحة من قبل المؤلف الذي شارك شخصياً في الحملة العثمانية التي توجهت لمحاربة فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس ، ومما يزيد من أهميتها العلمية أن المؤلف كتبها بخط يده ولم يعهد بها إلى ناسخ ، والنسخة التي بين يدينا هي نسخة نادرة ووحيدة ، ولم يشر إليها أي من الباحثين ممن اشتغلوا في فهرسة المخطوطات .

ويقدم لنا العباسي معلومات مهمة عن الحملة العثمانية على جزيرة رودس عام ٩٢٨هـ / ١٥٢١م ، فيبدأ بتحديد خط سير السلطان سليمان القانوني من خروجه من إستانبول ويذكر جميع المنازل التي توقف بها السلطان إلى أن

وصل إلى الجزيرة ، وينفرد العباسي بذكر معلومات قيمة عن حصار العثمانيين للجزيرة ، والمعلومات التي يقدمها أشبه ما تكون بالمذكرات اليومية عن وقائع الحصار ، حتى قبول الفرسان بتسليم الجزيرة للعثمانيين شريطة السماح لهم بالمغادرة في عام ٩٢٣هـ/ ١٥٢٣م .

وهذه الدراسة تتناول دراسة المخطوطة ونشرها وتحقيقها وهي تنقسم إلى ثلاثة فصول : يتناول **الفصل الأول** لمحة تاريخية عن منظمة فرسان القديس يوحنا واستيطانهم جزيرة رودس . وقد تناول هذا الفصل الحديث عن علاقة العثمانيين بالجزيرة مع التركيز على محاولات العثمانيين للاستيلاء على الجزيرة .

أما **الفصل الثاني** فيتناول ثلاثة موضوعات : **الأول** : الترجمة لمؤلف المخطوطة : عبدالرحيم العباسي . **والثاني** : توضيح بعض الأمور المتعلقة بالمخطوطة . **والثالث** : ذكر أهم النقاط التي ذكرها عبدالرحيم العباسي في المخطوطة والمتعلقة بمحاولة السلطان سليمان القانوني السيطرة على رودس ، ولأهمية هذا الموضوع فقد خُصِّص له فصلٌ كامل ، لأنه الدافع الرئيسي الذي كان وراء كتابة المخطوطة التي بين أيدينا ، وتم تبيان وتوضيح النواقص التي لم يذكرها العباسي في مخطوطته ، مع مقارنة ما ذكره بما أوردته كتب التاريخ الأخرى التركية والعربية والأجنبية . وبما أن أسلوب المؤلف يغلب عليه المحسنات اللفظية فقد تم اختصار أهم النقاط الواردة في المخطوطة ، ووضعت في هذا الفصل تيسيراً للقارئ ولسهولة الوصول إليها ، مع مقارنة ذلك بما ذكره المؤرخون الأتراك . وخُصِّص **الفصلُ الأخير** لنشر المخطوطة مع التعليقات والشروح .

أما الملاحق فهي تنقسم إلى قسمين ، **الأول** : خُصِّص لترجمة بعض الوثائق العثمانية ذات الصلة بموضوع الدراسة وتلخيصها . **والثاني** : لنشر بعض الصور القديمة لمدينة رودس وهي تنشر هنا لأول مرة .

المقــدمـــة(*)

تعتبر مكتبة قصر طوب قابي Topkapi Sarayi Kütüphanesi من أهم الأرشيفات الموجودة في الجمهورية التركية وأغناها ، لذا فلا عجب أن يرتادها مئات الباحثين سنوياً من أجل البحث في المخطوطات الموجودة هناك ، سواء العربية أو الفارسية أو التركية ، وبينما كنت أتصفح فهرس المخطوطات العربية في هذه المكتبة ، لفت نظري كتابٌ من تأليف عبدالرحيم العباسي عنوانه : «منح رب البرية في فتح رودس الأبية» ، يحمل رقم ١٥٩٩ ، وبعد أن طلبت المخطوطة ونظرت فيها ، راودتني فكرة نشرها ، فرجعت إلى كتب التاريخ العربية لمعرفة ما كتبه العرب عن فتح العثمانيين لجزيرة رودس ، فوجدتها جد نادرة ، ولا تتعدى أسطراً معدودة ، كما اتضح لي أيضاً أن هذه المخطوطة تكاد تكون منسية ، فلم يشر إليها أي باحث صراحة ، كما لم يتم العثور على معلومات تشفي غليل الباحث حول الطريقة التي تم بها فتح هذه الجزيرة ، وهذا ما عزّز لديّ فكرة نشر هذه المخطوطة ، خدمةً للمعرفة التاريخية وللباحث العربي الذي يتلهف بحثاً عن أية معلومات عن فترة التاريخ العثماني على وجه العموم ، ولا سيما القرن السادس عشر الميلادي ، الذي لا يزال الكثير من جوانبه مجهولاً لأبناء الأمة العربية ، وذلك راجع إلى أن معظم تلك المعلومات كتبت باللغة التركية ، وهنا وقفت اللغة عائقاً أمام

(*) أتقدم بجزيل الشكر للدكتور يوسف الحشاش من قسم اللغة العربية بجامعة الكويت لتفضله بقراءة مسوّدة البحث وتقديم اقتراحات أسهمت في إخراج البحث على نحو أفضل .

الكثيرين للبحث في هذا العصر من العصور الإسلامية ، وها هي المخطوطة تُنشر هنا لأول مرة .

ولنشر هذه المخطوطة قمت بزيارة مدينة إستانبول لتحقيق هدفين ، **أحدهما** : البحث في الأرشيفات العثمانية لاستخراج المواد الأرشيفية ذات الصلة بفتح جزيرة رودس[١] . **والآخر** : تحديد خط سير السلطان سليمان أثناء الحملة ، وذلك بالرجوع إلى الخرائط العثمانية القديمة الموجودة هناك[٢] ، وقد ساهمت تلك الزيارة في إنجاز الهدفين .

وأثناء وجودي في قسم المخطوطات النادرة بجامعة إستانبول اطلعت على ألبومات الصور الموجودة بالمكتبة ، ولحسن الحظ فقد عثرت على بعض الألبومات التي تتعلق بجزيرة رودس ، وأخذت عينة من تلك المجموعة ورأيت أن تنشر هنا كملحق بالدراسة ، لأن الصور الفوتوغرافية لها الأهمية نفسها للوثائق ، والعينة المختارة منها تتعلق ببعض المواقع التي كانت مسرحاً للأحداث ، وهي تعطي فكرة أعم وأشمل عن الجزيرة ، كما تم تزويد الدراسة ببعض الصور التوضيحية ووسائل الإيضاح ، وذلك لضمان سهولة توصيل المعلومة للقارئ .

---

(١) أثناء هذه الزيارة قمت بالبحث في الأرشيفات التالية : أرشيف رئاسة الوزراء : Basbakanlik Devlet Arsivleri ، وقصر طوب قابي Topkapi Sarayi Müzesi ، وعملت في الأرشيف والمكتبة هناك ، وقد عثرت على بعض الوثائق التي تتعلق بموضوع الدراسة في أرشيف القصر ، وقد تم الإشارة إليها في ثنايا الدراسة ، كما عملت أيضاً في أرشيف البحرية Deniz Müzesi Arsivleri ولم يحالفني الحظ في الحصول على شيء .

(٢) إضافة إلى الأرشيفات السابقة فقد قمت بزيارة قسم الجغرافيا بجامعة استانبول ، وأرشيف البحرية ، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية IRCICA ، ومكتبة المخطوطات بجامعة استانبول . وأحب أن أتقدم بجزيل الشكر لكل تلك الجهات على المساعدات التي قدمتها لإنجاز هذا البحث .

تُعَدُّ جزيرة رودس Rhodes من أكبر الجزر اليونانية الحالية التي تقع جنوب شرقي البحر الإيجي ، وهو البحر الذي يفصل غرب الأناضول عن اليونان ، وتُعرف باللاتينية الحديثة باسم Rodhes ويفصلها مضيق مرمرة Marmara عن تركيا اليوم ، ويبلغ إجمالي مساحة الجزيرة ٥٤٠ ميلاً مربّعاً (١,٣٩٨ كم^{٢}) ، وهي جزيرة جبلية ، وترتفع جبالها نحو أكثر من ٤٠٠٠ قدم (١,٢٠٠ متر) ، كما تكسوها الغابات ، وهي جزيرة معتدلة الجو ، يبلغ متوسط درجة الحرارة فيها في فصل الشتاء نحو ١٠ درجات مئوية ، وتنتشر بها المزارع المختلفة ، ومن أهم منتجاتها الفواكه والنبيذ والقمح والقطن والتبغ والإسفنج[٣] ، وتقع مدينة رودس على الطرف الشمالي للجزيرة . وقد بُنيت هذه المدينة عام ٤٠٨ ق . م .[٤] .

(٣) Merit Students Encyclopaedia, Vol. 16.

(٤) Grolier Academic Encyclopaedia, Vol. 16, p. 201

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن منظمة فرسان القديس يوحنا

يُعرف فرسان القديس يوحنا باسم Hospitalers Of Saint John أو فرسان رودس Knights of Rhodes ، ويعرفون عند العرب باسم الإسبتارية ، وهم طائفة دينية عسكرية من ضمن الطوائف العديدة التي ظهرت أثناء فترة الحروب الصليبية في الشرق ما بين ٤٨٩ - ٥٨٧ هـ/ ١٠٩٦ - ١١٩١م ، وهذه الطائفة جمعت بين العبادة والفروسية والشدة والصلابة ، وكانوا أول ظهورهم يُعْنَون بتطبيب المرضى والجرحى ومداواتهم في الحروب . وقد وُجدوا على هيئة جماعات تجمعت بناء على موطنهم الأصلي واللغة التي كانوا يتخاطبون بها ، فكانت هناك جماعة الإنجليز ، والفرنسيين والألمان وغيرهم ، وكان لكل جماعة أو طائفة رئيس ، فاجتمع الرؤساء واتفقوا على تنظيم العمل فيما بينهم واختيار مسؤول لهم ، فأوجدوا لقب السيد الكبير Grand Master(٥) .

وقد وُجدت هذه الطائفة في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكانوا في بداية ظهورهم يعنون بالمرضى من الحجاج النصارى في مستشفى بمدينة بيت المقدس أو القدس Jerusalem قريب من كنيسة القديس يوحنا (سانت جون بابتست St. John the Baptist) ، وبعد أن نجح الصليبيون في ضم بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م ، قام أحد الرهبان - ويُعرف باسم جيرارد Jerard -

(٥) Afif Büyüktuğrul, Osmanli Deniz Harp Tarihi, C 1 (Istanbul, 1970) s 36

بتكثيف نشاطه في بيت المقدس ، وأقام فنادق ومستشفيات مشابهة لما في المدن الإيطالية وعلى الطرق المؤدية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ، وبمرور الوقت أصبحت هذه المؤسسات على درجة كبيرة من الغنى والقوة وازداد نشاطها ليشمل العناية بالمرضى والفقراء وإعلان الحروب على المسلمين(٦) .

ووضع جيرارد الخطوط العامة التي سارَ عليها أتباع هذه الطائفة ، واشترط على أتباعه ارتداء ملابس حقيرة ، والبدء بنقل المريض إلى سريره ثم غسل رجليه ، وكان أفضل الأكل يقدم للنزيل بما في ذلك الخبز الأبيض واللحم الطازج من لحوم الخنزير أو البقر ، وذلك ثلاث مرات في الأسبوع ، كما يُعْطى النزيلُ معطفاً من الصوف ، أما الفرسان فعليهم أن يرتدوا معاطف بسيطة سوداء اللون ، وعلى مديري المنازل أو المستشفيات أن يساهموا بأنفسهم في خدمة المرضى ببشاشة ورضا ودون أية شكوى ، أما المباني فيجب أن تكون جميلة ومزودة بغرف وأسرّة ، وأن تساهم بدورها في رفع الضيق والضجر عن المريض ، وبعد نصف قرن من بداية تأسيس هذه المنظمة انتشرت أمثال تلك المباني في كل من إيطاليا وأسبانيا وفرنسا . وبعد وفاة جيرارد عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م ، تم انتخاب روجر دو بوي Roger du Puy رئيساً للمنظمة وحوّل الإسبتارية إلى جمعية عسكرية مقاتلة تجمع بين قتل المسلمين وتطبيب النصارى(٧) .

(٦) The New Encyclopaedia of Britannica, vol 6, 15th. edition, (1991) p. 78.

(٧) لمزيد من المعلومات حول ذلك انظر :

جوناثان رايلي سمث ، الاسبتارية : فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ - ١٣١٠م ، ترجمة صبحي الجابي ، ط ١ (دمشق ، ١٩٨٩) ص ٤٦ - ٦٢ . وانظر أيضاً :

Philip Zaleski, "Knights Hospitallers", PARABOLA, vol. 15, winter 1990, pp 55 - 62.

ولما استولى المسلمون على عكا Acre في عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م آخر معقل للصليبيين في البلاد الإسلامية ، توجه جان دي فيلليه Jean de Villiers بمن معه من فرسان الإسبتارية إلى جزيرة قبرص ، حيث سمح لهم ملكُها هنري الثاني دي لوزينان Henry II de Lusignan بالإقامة فيها ، وقرروا أن يواصلوا أعمالهم على خدمة الحجاج والمرضى والبقاء قريبين من الأراضي المقدسة ، حتى إذا ما واتتهم الفرصة قفلوا راجعين إلى بيت المقدس .

إلا أنه بعد أن طال بهم المقام في جزيرة قبرص ، سئموا من البقاء تحت جناح ملكها ، واشتد بهم الضجر فصاروا يبحثون عن مكان آخر لهم يتنفسون فيه الصعداء ، وكان من الاستحالة عليهم في ذلك الوقت أن يحتلوا أي بقعة من الأراضي الإسلامية حيث كان المسلمون أهل قوة ومنعة ، فاتجهوا بأبصارهم غرباً ، فوقع اختيارهم على جزيرة رودس ، التي كانت جزءاً من الامبراطورية البيزنطية الهرمة ، وكانت وكراً للقراصنة وقطاع طرق السفن العاملة في البحر المتوسط .

ووجد الفرسان ضالتهم في جزيرة رودس لعدة اعتبارات ، حيث لم يكن هناك أية قوة تستطيع أن تنازل الفرسان لإخراجهم من تلك الجزيرة سواء من البيزنطيين أو الأتراك أو البنادقة أو الجنوية ، كما كانت رودس خصبة التربة ، ونظراً إلى موقعها المهم فبإمكانهم الاستفادة من التجارة . هذا إضافة إلى إمكانية أن تؤدي رودس دور الوسيط التجاري بين الغرب الأوروبي وجزيرة قبرص . وفوق هذا وذاك فإن رودس كانت مكاناً جيداً لمواصلة الحروب الصليبية لقربها من البلاد الإسلامية والأماكن المقدسة حيث إنها تقع على بعد اثني عشر ميلاً عن سواحل الأناضول ، وبذلك تستطيع أن تحارب السفن العثمانية والبيزنطية العاملة في البحر المتوسط ، وفي الوقت ذاته بإمكانها

مهاجمة السفن الأوروبية اتي تتعامل بصورة غير قانونية مع المماليك مخالفة بذلك أوامر البابوية[٨] .

ودعت أوروبا فرسانها لحملة صليبية جديدة وتسابق الناس من فرنسا وإيطاليا وألمانيا استجابة لهذا النداء ، وأبحر الجيش من جزيرة قبرص ، وكان بقيادة زعيم الفرسان الاسبتاريين فولك دو ويلارت Foulques De Villaret ، وظن الجميع أن الحملة ستوجه ضد المسلمين ، وسار دي فلاريه ليلاً باتجاه فلسطين ثم عرج باتجاه جزيرة رودس ، ولما علم بَعْضُهم بمغزى الفرسان عادوا إلى مواطنهم الأصلية ، بينما آثر البقية تكملة المشوار مع الفرسان .

بعث رئيس الفرسان رسالة إلى الامبراطور البيزنطي يطلب إليه سحب قواته من رودس ، وتسليم الجزيرة له ، وتَعَهَّد إليه بتقديم مائة جندي كلّ ثلاث سنوات ، وأن يطهّر الجزر من القرصنة ، ورفض الامبراطور هذه الرسالة ، وطرد الرسول ، وأرسل تعزيزات للحامية البيزنطية في الجزيرة ، إلا أن الفرسان لم يكترثوا برفض الامبراطور ما داموا قد أخذوا مباركة بابا روما كليمنت الخامس Clement V ، وتمكنوا من التغلب على الحامية البيزنطية ، واستولوا على الجزيرة بسهولة في عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م[٩] .

وأخذ أولئك الفرسان – منذ ذلك الحين – يُعرفون باسم فرسان رودس Knights of Rhodes ، ويعملون على توطيد أقدامهم بالجزيرة ، فسيطروا على بعض القلاع المهمة في الجزر الأخرى المجاورة لرودس[١٠] ، ومن أجل إقناع

(٨) Norman Housley, The Later Crusades 1274 - 1580 (Oxford, 1992) p. 215.

(٩) د . سالم الرشيدي ، محمد الفاتح (مصر ، ١٩٥٦) ط١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ . وانظر أيضاً :
Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, C II, 5 bas. (Ankara, 1988, p 173 A. T.

(١٠) Luttreff, "Venice and the Knights Hospitallers of Rhodes in the Fourteenth Century", Papers of the British School at Roma, V. 26, 1958, p. 197.

المسيحي بأهمية دعمهم مادياً ومعنوياً فقد استأنفوا نشاطهم البحري يطرة على بعض السفن المسيحية التي كانت تتعامل تجارياً مع دولة المماليك .

وأخذ فولك دو ويلارت Foulques De Villaret يشجع هجرة الأوروبيين من أجل إقامة مستوطنات سكانية وزيادة أعدادهم في تلك الجزيرة ، فتوافد فرسان وأشخاص عديدون من مختلف المستويات الاجتماعية والنبلاء والتجار من الغرب الأوروبي ، ووافقوا على القيام بأعمال عسكرية .

وفي عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م ، باشر زعيم الفرسان إعطاء أراض للقادمين نظير إيجار سنوي ، ومنحت أكثر من ٢٠ منحة من الأراضي خارج مدينة رودس وذلك في الفترة ما بين ٩-٧٤٨هـ/ ٨-١٣٤٧م دون أن يجبروا أصحاب تلك المنح أو الأراضي على أداء أية خدمات عسكرية(١١) .

وفي الوقت نفسه كان هؤلاء الفرسان يقومون ببعض الأعمال التجارية من أجل توفير رأس المال المطلوب للإنفاق على احتياجات الجزيرة ، فقد قاموا بتزويد الغرب الأوروبي بالسكر ، وتعاملوا مع الأسواق الشرقية للحصول على الملبوسات ، ولما توافرت لديهم الأموال المطلوبة قاموا بتقوية تحصينات الجزيرة ، فأقاموا أسواراً برية وبحرية حول المدينة ، وبنوا مستشفى لرعاية المرضى ، وقد بَهَرَ التجارَ والحجاجَ الأوروبيين ما شاهدوه ، وتعاون الفرسان مع بعض القوى البيزنطية الموجودة في البحر الإيجي للقيام بأعمال مشتركة ضد الأتراك ، وحققوا بعض الانتصارات في عامي ١٩ - ٧٢٠هـ/ ١٩ - ١٣٢٠م ، وهكذا تكونت لدى فرسان رودس قوة بحرية فاعلة في البحر

---

(١١) Norman Housley, The Later Crusades, p. 215 - 216.

الإيجي . وازداد نشاط الفرسان في العقدين الثالث والرابع من القرن الرابع عشر الميلادي حيث قاموا بشن حملات قرصنة ناجحة ضد بعض الإمارات التركية الموجودة في غرب الأناضول ولا سيما آيدن[١٢] ومنتشا[١٣] .

(١٢) إمارة آيدن Aydin : تضم أزمير وما جاورها ، وكان محمد بك يحمل لقب أمير للسواحل في دولة سلاجقة الروم ، وخلفه ابنه آيدن في الزعامة وأعلن استقلاله عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م ، وحكم حتى عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م ، وخلفه ابنه محمد ثم ابنه عمر غازي الذي أنشأ قلعة وأسطولاً في أزمير ، ثم خلفه أخوه عيسى الذي اضطر إلى تسليم إمارته إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني ، فترك له السلطان أزمير وضم بقية أملاكه للعثمانيين ، وبعد وفاة عيسى ضمت أزمير إلى العثمانيين ، واحتل زعيم التتار تيمور لنك أزمير عام ٨٠٥/ ١٤٠٢م ، وسلمها إلى موسى ابن عيسى ثم ضمت لأملاك الدولة العثمانية ، لمزيد من المعلومات حول هذه الدولة انظر :

Paul Wittek, The Rise of the Ottoman Empire (London, 1938) p. 35. Dr. Erdogan Mercil, "The Anatolian Principalities" in the Short History of Turkish - Islamic States (Ankara, 1994) p. 194 - 195.

محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي : ٨ العهد العثماني ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨٧) ص ٤٨ - ٤٩ .

(١٣) Norman Housley, The Later Crusades, p. 216 - 222.

إمارة منتشا Mentese : أمراؤها من أصل كردي ، وكان حاجي أمير السواحل في عهد سلاجقة الروم ، ثم استقل ابنه منتشا بالإمارة التي توسعت حتى سيطرت على جزيرة رودس ، إلا أن فرسان القديس يوحنا أجلوهم عنها ، واستوطنوا الجزيرة ، ومنعوا أهالي منتشا من التحرك بصورة واسعة في البحر الإيجي ، وضم السلطان العثماني بايزيد الأول أملاك الإمارة لدولته ، إلا أن الإمارة عادت إلى الظهور بعد معركة أنقرة على يد تيمورلنك ، وفي عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م ، دخل السلطان العثماني مراد الثاني الإمارة وقبض على أولاد منتشا وسجنهم في توقات وانتهى أمرهم ، لمزيد من المعلومات حول هذه الإمارة انظر :

Paul Wittek, The Rise of the Ottoman Empire, p. 35 - 36.
Dr. Erdogan Mercil, "The Anatolian Principalities", p. 250 - 206.

ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٥١ .

علاقات العثمانيين بجزيرة رودس :

كانت دولة سلاجقة الروم(١٤) هي الدولة صاحبة السيادة في بلاد الأناضول ، إلا أنه مع أواخر القرن الثالث عشر الميلادي أخذ الضعف والوهن يتغلغل إلى جسم هذه الدولة فانهارت في عام ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م ، وظهر على أنقاضها العديد من الإمارات التركية في بلاد الأناضول ، وتُنسب معظم تلك الإمارات إلى أشخاص كانوا أمراء الحدود في دولة السلاجقة ، وكانت الدولة العثمانية من بين تلك الإمارات التي ظهرت على أنقاض دولة سلاجقة الروم ، واستطاعت الدولة العثمانية أن تتفوق على بقية إمارات الأناضول ، وتمكن السلطان بايزيد الأول (٧٩٢ - ٨٠٥هـ/ ١٣٨٩ - ١٤٠٢م) من توحيد بلاد الأناضول تحت السيادة العثمانية ، كما امتلك العثمانيون آنذاك قوة بحرية فعّالة ، وهذا ما أدى إلى تصادم الدولة العثمانية مع فرسان القديس يوحنا القاطنين جزيرة رودس ، وسنتعرّض لطبيعة العلاقة بين الدولتين .

(١٤) بعد أن دخل قتلمش بن أرسلان (ويطلق عليه بعضهم اسم إسرائيل) بن سلجوق بلاد الروم ، تمكن من تملك مدينتي قونية وأقسراي ، وتوجه إلى بلاد الري ليتملكها فلم يستطع ، وهزم هو وعسكره ، ووجد مقتولاً بين من قتل ، وذلك سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م . وتولى الحكم ابنه سليمان بن قتلمش وفتح مدينة أنطاكية التي كانت بأيدي الروم ، وأراد الاستيلاء على حلب حيث قتل هناك . ثم تولى بعده ابنه قلج أرسلان بن سليمان الذي استولى على الموصل وديار بكر . ثم تولى بعد ذلك مجموعة من السلاطين كان من أهمهم السلطان علاء الدين كيقباد الذي حكم ٢٤ عاماً ، ثم جاء ابنه غياث الدين ، وكان ظالماً فقتله مماليكه عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ، ثم مرت دولة سلاجقة الروم بفترة ضعف وتدهور حتى جاء يعقوب بن علمشاه الذي كان صالحاً زاهداً في الدنيا وسلّم مفاتيح بلاده للسلطان مراد العثماني ، فعين أميراً في بلاد الروميلي .

لمزيد من المعلومات حول هذه الدولة انظر : أحمد بن يوسف القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق د . أحمد حطيط ود . فهمي سعد ، جـ ٢ (بيروت ، ١٩٩٢) ص ٥١٣ - ٥١٧ ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٤٢ - ٤٨ .

بدأ النزاع بين الدولتين لأول مرة عندما اعتدت سفن الفرسان على بعض السفن العثمانية عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م ، وحطمتها وأسرت بعض بحارتها العثمانيين ، ثم أخذ القتال يتجدد من وقت لآخر[١٥] ، كما شاركت رودس في كل الحملات الصليبية التي نظمتها أوروبا ضد الدولة العثمانية[١٦] ، وعلى سبيل المثال فقد ساهمت رودس في تقديم سفنها للعمل جنباً إلى جنب مع القوات الأوروبية التي جُهزت لمحاربة العثمانيين في الحملة الصليبية التي دارت رحاها في موقعة نيكوبولس Nicopolis عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[١٧] ، والتي انتهت بنصر كبير للقوات العثمانية على الحملة الصليبية ، كما أدّوا دوراً في الدفاع عن المورة Morea عندما هاجمها السلطان بايزيد الأول[١٨] وعلاوة على حالات الاعتداء التي كانت تتكرر بين الحين والحين - وهذه لن تكون موضوع الدراسة هنا - أدرك الفرسان الخطر الذي قد يتهددهم من الدولة العثمانية ، لذا انتهزوا فترة الحروب الأهلية بين أبناء السلطان بايزيد الأول الذي أسره تيمورلنك في موقعة أنقرة عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م ، وقام الفرسان خلال هذا الوقت بصرف أموال كثيرة على تحصينات الجزيرة والجزر الأخرى التابعة لهم ، مما زاد من حصانة أسوار رودس نفسها ، وبدأ الفرسان العمل ببناء قلعة جديدة في مدينة بودروم Bodrum التي تقع على الساحل الغربي لبلاد الأناضول التابعة لفرسان رودس . ومع تساقط المدن والقلاع البيزنطية واحدة بعد الأخرى في أيدي العثمانيين بدأت مكانة رودس الدينية تظهر للأوروبيين حيث أصبحت المكان الوحيد الذي يمكن للنصارى اللجوء إليه في حالة فرارهم من أيدي

(١٥) د . سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٢٤٣ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(١٧) A. t. Luttreff, "Venice and the Knights Hospitallers" p. 210.

(١٨) Norman Housley, The Later Crusades, p. 223.

العثمانيين ، كما أن مكانة رودس التجارية بدأت تظهر جلياً للغرب ، ولا سيما مع سكان مدينة فلورنسا الإيطالية الذين بدأوا يتعاملون مع المنطقة لأول مرة ، كما أخذت رودس تتعاون مع المدن الإيطالية الأخرى مثل جنوة والبندقية عندما طلبت منها مساعدة بحرية للانقضاض على الأتراك(١٩) .

علاقة الفرسان بالعثمانيين أثناء حكم السلطان محمد الثاني :

بعد عام واحد من استيلاء السلطان محمد الثاني (٨٥٥ - ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ - ١٤٨١م) على القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م طلب السلطان محمد إلى قائد الفرسان دفع جزية له ، إلا أن طلبه رفض ، فقام السلطان بمهاجمة جزيرة كوس Cos التابعة للفرسان عام ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا أنه اكتفى بنهبها ، وفشل السلطان محمد في ذلك يعد دليلاً على متانة أسوار المدن والقلاع التي كانت تابعة لفرسان رودس ، ومع هذا فإن قائد الفرسان وافق على دفع جزية للعثمانيين عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م ، وبعد سنتين أعاد السلطان النظر في الجزية السنوية(٢٠) .

ساءت العلاقة بين الدولتين في عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م عندما أرسل زعيم الفرسان سفينتين للدفاع عن أحد موانئه الذي تعرّض لهجوم من قبل السلطان محمد ، كما قامت البحرية العثمانية بمهاجمة العديد من الجزر والقلاع التابعة للفرسان في العقد الثامن من القرن الرابع عشر الميلادي وذلك في ربيع كل عام .

وهناك عوامل مُتَعَدِّدَة دفعت السلطان محمد إلى تكثيف حملاته ضد

---

(١٩) Norman Housley, The Later Crusades, p. 224.

(٢٠) Ibid, p. 225 - 226.

رودس نفسها والجزر التابعة لها ، ويمكن إرجاع ذلك لقربها من الأراضي العثمانية ، وخصوبة تربة رودس ، والموقع التجاري للجزيرة حيث إن السلطان العثماني كان ينوي الاستيلاء على ممتلكات السلطان المملوكي قايتباي ، وتقع رودس على الطريق المؤدية من البحر الإيجي إلى البحر المتوسط ، فأراد السلطان محمد أن يسيطر عليها حتى يضمن حرية عبور السفن من عاصمته إلى موانئ مصر(٢١) ، كما تمتاز رودس بوجود ميناء ممتاز فيها ، وهي ذات موقع استراتيجي يمكن استخدامها قاعدة لضرب العصاة والخارجين على الدولة العثمانية في جنوب آسيا الصغرى ، هذا إضافة إلى المكاسب الكثيرة التي يمكن أن يحققها إذا ما تغلب على الفرسان فيوقف نشاطهم ، ويقضي على الوكر الذي كان يحتضن القرصنة المسيحية ، كما يقضي بذلك على المنادين بالحروب الصليبية(٢٢) .

وفي الوقت الذي كان السلطان محمد يشن فيه هجمات على القلاع الرودسية كان زعيم الفرسان پيير دو أوبسون Pierre D'Aubusson قد توقّع أن يشن العثمانيون حملة على رودس نفسها ، فقام بتقوية دفاعات الجزيرة ، وأشرك الأجانب الموجودين بالجزيرة في أعمال البناء والترميم بمن فيهم المسلمون(٢٣) ، وخزّن المواد الغذائية استعداداً لحصار طويل ، وأطلقت صيحات مختلفة لجمع الفرسان من الغرب الأوروبي ، فتجمعت أعدادٌ كبيرة منهم استجابة لذلك ، بلغت حوالي ٣٥٠٠ فارس(٢٤) .

(٢١) جلال زاده صالح چلبي ، رودس فتح نامه سي رقم Istanbul Universite Kütüphanesi No. 2628 ، ص ٤ و Colin Imber, The Ottoman Empire 1300 - 1481, (Istanbul, 1990) p. 247

(٢٢) Norman Housley, The Later Crusades, p. 226.

(٢٣) د . سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٢٤٦ .

(٢٤) Norman Housley, The Later Crusades, p. 228.

لقد كانت رودس هي القلعة النصرانية الوحيدة المنيعة التي تشغل العثمانيين في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط ، لا سيما أن السلطان محمد كان ينوي مهاجمة غرب أوروبا بعد أن يفرغ من هذه القلعة . وحتى يكثف السلطان محمد جهوده للاستيلاء على هذه الجزيرة عقد معاهدة مع البنادقة ليضمن حيادهم وعدم مساعدتهم للجزيرة في حالة هجومه عليها . أما الفرسان فقد قاموا بعمل مماثل ، فقد هادنوا المماليك ، وبموجب هذه المعاهدة سمُح لأهالي الجزيرة بارتياد الموانئ المملوكية في مصر وبلاد الشام ، وبتزويد سفنهم بكل ما يحتاجون إليه ، وبإجراء الإصلاحات الضرورية لسفنهم في حالة تعطّلها أو إصابتها بالتلف ، كما عقدوا اتفاقاً مماثلاً مع سلطان تونس(٢٥) . وأطلق كلا الجانبين جواسيسه لجمع معلومات عن الطرف الآخر ، ومدى الاستعدادات التي تمت وحالة الجيشين .

وفي ١٣ ربيع الأول ٨٨٥هـ/ ٢٣ مايو ١٤٨٠م عُين الوزير مسيح باشا(٢٦) قائداً عاماً لأسطول عثماني مكوّن من ثلاثة آلاف يكچري (إنكشاري) وأربعة آلاف من قوات العزب على متن ستين سفينة عثمانية من نوع قادرغه ، وأتى الوزير بقواته وفرض حصاراً حول جزيرة رودس ، وشدد الجيش العثماني حصاره على قلعة القديس نيكولاس St. Nicholas (تسميه بعض الكتب العربية باسم نيقولا ، وعرفت القلعة عند العثمانيين باسم عرب قَلَهْ سي أي قلعة العرب) التي تُعَدُّ مفتاح المدينة ، وظلت المدافع العثمانية تدك القلعة طوال

(٢٥) د . سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٢٤٧ .

(٢٦) تقول المصادر الأوروبية إنه ينتمي إلى عائلة الإمبراطور البيزنطي باليولوج Palaeologos ، وفي أيام السلطان بايزيد الثاني عُين صدراً أعظم . انظر :

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 140 n. 2.

ومؤلف مجهول ، رودس تاريخي (استانبول ، ١٣١٢) ص ١٢٢ .

ستة أيام حتى تهدّم جانب من أسوارها فقاموا بهجوم شديد على القلعة إلا أن الفرسان تمكنوا من ردهم ، ورمموا الأجزاء المتهدمة من الأسوار(٢٧) .

وعندها رأى مسيح باشا أن يهاجم المدينة من موضع آخر أكثر سهولة ، وأضعف حصانة ، فحوّل الوزير جنوده إلى جهة الحي اليهودي في يوم ١٤ ربيع الثاني ٨٨٥هـ/ ٢٤ مايو ١٤٨٠م ، وشدد ضرباته على هذه المنطقة ، ولما علم الرئيس دو أوبسون بذلك هدّم بيوت اليهود وبنى من حجارتها سوراً داخلياً في زمن قياسي شارك كل سكان الجزيرة رجالاً ونساء في بنائه ، ولما فرغ العثمانيون من الاستيلاء على السور الخارجي فوجئوا بهذا السور الداخلي ، فخارت عزيمة الوزير ، ولم يضرب هذا السور بمدافعه ، وآثر الانسحاب لمعاودة الهجوم مرة أخرى على قلعة القديس نيكولاس في يوم ١١ جمادى الأولى ٨٨٥هـ/ ١٩ يوليو ١٤٨٠م ، ولكن الفرسان كانوا قد أعادوا السور على ما كان عليه من القوة والمنعة ، بعد إصلاحه وترميم ما أتلفته المدفعية العثمانية(٢٨) .

وحاول مسيح باشا أن يستولي على الجزيرة بالخدعة والحيلة ، فأرسل أحد رجاله من المسيحيين وكان خبيراً في صناعة المدافع إلى الجزيرة ، ولما وصل أخبرهم أن حبه وحماسه للمسيحية أجبراه عى هجر العثمانيين والقدوم إلى رودس ، ولكن عندما لاحظ المدافعون فتوره في الدفاع عن الجزيرة أثناء الحصار ، شكوا في أمره ، وعذبوه إلى أن اعترف بأن مسيح باشا أرسله للداخل ليقوم باغتيال السيد العظيم ، ويضمن استسلام الجزيرة ، فشنقوه علناً ليراه الناس(٢٩) .

---

(٢٧) مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٢٣ و :

Colin Imber, The Ottoman Empire, p. 248.

(٢٨) مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٢٤ .

(٢٩)

Colin Imber, The Ottoman Empire, p. 248.

قام الوزير بهجوم عنيف جديد على قلعة القديس نيكولاس، ولكن من دون فائدة، فعاود هجومه من جديد على الحي اليهودي، وتمكنت المدفعية العثمانية من فتح ثغرة في الأسوار في تاريخ ٢١ جمادى الأولى ٨٨٥هـ/ ٢٩ يوليو ١٤٨٠م حيث تسلل الجنود العثمانيون إلى داخل المدينة وأخذوا ينتشرون فيها(٣٠).

وفي هذه اللحظة الحاسمة التي تقرر فيها مصير الجزيرة، خشي الوزير مسيح باشا من أن يستولي الجنود على كل خيرات وغنائم الجزيرة فأمرهم ألا يأخذوا أي شيء منها لأنها ملكٌ للسلطان، وما إن وصلت هذه الأنباء إلى مسامع الجنود حتى توقفوا عن القتال مذهولين لهول ما سمعوه، وفي هذه اللحظة هجم الفرسان على العثمانيين هجوماً عنيفاً زحزحهم عن مواقعهم، وضاعت الفرصة على العثمانيين للاستيلاء على المدينة، ويقول كاتب چلبي إن بُخل الوزير وطمعه هو الذي حال دون سيطرة العثمانيين على الجزيرة في هذه المحاولة(٣١)، التي استمرت من ١٤ ربيع الأول حتى ١٤ جمادى الآخرة ٨٨٥هـ/ ٢٣ مايو - ١٩ أغسطس ١٤٨٠م(٣٢).

وعلى الرغم من ورود هذه التفسيرات لهزيمة العثمانيين في معظم

---

(٣٠) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 140.

(٣١) جلال زاده صالح چلبي، رودس فتح نامه سي رقم: Istanbul Universite Kütüphanesi No. 2628، ص ٤، ومؤلف مجهول، فتح رودس، ملت كتبخانه سي، علي أميري رقم Millet Kütüphanesi, Ali Amiri No. 289 ص ٤، وكاتب چلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار (استانبول، ١٣٢٩هـ) ص ١٧، ومؤلف مجهول، رودس تاريخي، ص ١٢٥.

(٣٢) Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan Malta Muhasarasina" Turk Tarih Kurumu (TTk), Kanuni Armagani (Ankara, 1970) s 50.

المؤلفات العثمانية ، فإنه يصعب تصديقها أو الجزم بأنها كانت السبب في هزيمة العثمانيين ، لأن المؤرخ العثماني الشهير محمد نشري لا يورد هذه الحكاية ، وإنما يكتفي بالقول إن المحاولة باءت بالفشل[٣٣] . وفي حقيقة الأمر إذا نظرنا إلى حجم الحشود العثمانية لهذه الحملة نجدها قليلة مقارنة بأعداد الجيوش التي كانت تقاتل في جبهات أخرى ، لذا فإن انشغال السلطان في جبهات أخرى مثل جنوب إيطاليا والمجر وجنوب الدانوب وبلاد فارس[٣٤] حال دون إرسال قوات كبيرة لفتح الجزيرة ، وربما يكون قرار محاصرة رودس قد اتخذ في عجالة دون إعداد الترتيبات الكافية لضمان نجاح هذه المهمة ، بدليل أن السلطان محمد لم يتّهم الوزير بالجبن ولم يعاقبه لفشله في رودس وفشله في بودروم التي حاصرها أثناء عودته ، وإنما كافأه بأن عينه حاكماً أو أميراً (سنجاق بك) على مدينة غاليبولي[٣٥] .

علاقة السلطان بايزيد الثاني بجزيرة رودس :

ترك السلطان محمد الثاني (الفاتح) عند وفاته ولدين أكبرهما بايزيد المولود عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م ، وكان حاكماً في أماسيا ، والآخر جم ، وكان حاكماً في القرمان ، وعند وفاة السلطان محمد الفاتح أخفى الصدر الأعظم قرماني محمد باشا الخبر عن الجند حتى لا يثوروا ، وأرسل الرسل إلى أبناء السلطان محمد الثاني ، وكان الصدر الأعظم شديد الارتباط بجم ، وكان يأمل أن يصل إلى العاصمة إستانبول قبل أخيه بايزيد ، إلا أن الخبر تسرَّب إلى

(٣٣) Mehmed Nesri, Kitab-i Çihan-Nümâ : Neşri Tarihi, Yayinlayanlar Faik R. Unat ve Dr. Mehmed A. Koymen, IIC. (Ankara, 1987) s 838.

(٣٤) Colin Imber, The Ottoman Empire, p. 249-250.

(٣٥) كاتب چلبي ، تحفة الكبار ، ص ١٧ .

الإنكشارية ، فقاموا على الصدر الأعظم وقتلوه ، وعاثوا فساداً في العاصمة ، ونصَّبوا قورقود أكبر أبناء بايزيد إلى حين قدوم والده ، وبناءً على أوامر أمير أمراء (بكلربك) الأناضول قُبض على الرسول الذي بعثه الوزير إلى جم ، وأسرع بايزيد إلى عاصمته فوصلها في ٣٠ ربيع الأول ٨٨٦هـ/ ٢٩ مايو ١٤٨١م ، ونودي به سلطاناً على الدولة العثمانية(٣٦) ، واستمر حكم بايزيد الثاني من (٨٨٦ - ٩١٨هـ/ ١٤٨١ - ١٥١٢م) .

كان السلطان بايزيد الثاني ميالاً للسلم أكثر من ميله للحروب ، إلا أن الحياة السياسية لم تتركه دون الدخول في الحروب ، وكانت أولى حروبه مع أخيه جم . لما علم جم بوصول أخيه إلى كرسي الحكم ، جمع قوات كبيرة من القبائل التركمانية الموجودة في القرمان ، وهاجم بورصة ودخلها عنوة ، ونادى بنفسه سلطاناً هناك ، وعرض جم على بايزيد اقتسام المملكة حيث يأخذ جم القسم الآسيوي (الأناضول) بينما يأخذ بايزيد القسم الأوروبي (الروميلي) ، فلم يقبل السلطان بايزيد هذا العرض وأرسل جيشاً لمحاربة أخيه بالقرب من مدينة يني شهر Yenisehir في ٢٣ ربيع الثاني ٨٨٦هـ/ ٢١ يونيو ١٤٨١م وطارده حتى أوصله إلى حدود الدولة مع الدولة المملوكية(٣٧) .

وعندها فرَّ جم ولجأ إلى السلطان المملوكي قايتباي (٨٧٢ - ٩٠٠هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٩٥م) ، مكث هناك عاماً واحداً ، ثم توجه إلى حلب حيث راسل قاسم بك آخر أفراد العائلة التي كانت تحكم إمارة قرمان قبل سيطرة محمد الفاتح عليها ، ووعده بأنه إذا ما سانده في الوصول إلى كرسي العرش في الدولة العثمانية ، فسيعيد إليه أملاك أجداده في القرمان ، وسار الاثنان

(٣٦) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 162 - 3.

(٣٧) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د . إحسان حقي ، ط ٥ (بيروت ، ١٩٨٦) ص ١٨٠ .

معاً لمحاصرة مدينة قونية ، فأرسل السلطان وزيره كذلك محمد باشا فهزمهما(٣٨) .

وجد جم نفسه في مأزق فلم يكن أمامه إلا أن يلجأ إلى جزيرة رودس ، فوصل جم الجزيرة في ١ جمادى الآخرة ٨٨٦هـ/ ٢٨ يوليو ١٤٨١م حيث استقبله زعيم الفرسان پيير دو أوبسون Pierre D'Aubusson باحترام وتقدير ، ووجد فيه سلاحاً جيداً يمكن أن يستخدمه ضد الدولة العثمانية ، وأرسل بايزيد رجاله للتفاوض مع فرسان رودس على الاحتفاظ بجم عندهم بالجزيرة وتعهد مقابل ذلك بعدم التعرض لاستقلال الجزيرة ، وأن يدفع لهم مبلغاً سنوياً قدره ٤٥ ألف دوكا(٣٩) . وقبل الفرسان هذا العرض من السلطان بايزيد ، ثم أرسل الفرسان جم إلى فرنسا حيث مكث في مدينة نيس ثم نُقل إلى مدينة شمبري Chembery (تقع في جنوب شرقي باريس) ، وفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وضعه زعيم الفرسان تحت وصاية البابا أنوسان (أو أنوسنت) الثامن Innocent VIII ، وفي عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م أرسل السلطان بايزيد مصطفى آغا للتفاوض مع البابا في شأن جم ، واتفقا على أن يدفع السلطان مبلغاً قدره ٤٠ ألف دوكا ذهبية كل عام نظير الاحتفاظ بأخيه جم ، وقد أحضر الرسول معه مبلغاً لثلاث سنوات دفعها مقدماً للبابا(٤٠) . وظل جم هناك إلى أن توفي عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م . وطوال هذه الفترة لم يشن العثمانيون حرباً كبيرة ضد أوروبا(٤١) .

---

(٣٨) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 166 - 169.

(٣٩) V. G. Parry, "The Reigns of Bayezid II and Selim I 1481 - 1520"
In A History of the Ottoman Empire to 1730, Edited by M. A. Cook (Cambridge, 1976) p. 56 & Serafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 51.

(٤٠) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 173.

(٤١) V. G. Parry, "The Reigns of Bayezid II and Selim I", p. 57.
وانظر أيضاً : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨١ .

ترك جم عدة أبناء هم أوغوز خان الأكبر ، وقد قتله إسكندر باشا محافظ إستانبول بناءً على أوامر السلطان بايزيد . والثاني هو مراد الذي سافر مع والده إلى القاهرة ، ومن ثَم غادرها متوجهاً مع والده إلى جزيرة رودس ومكث فيها ، واعتنق الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي ، ولم يخرج من جزيرة رودس . والأخير هو علي الذي لم يُعرف مصيره(٤٢) .

وشهدت هذه الفترة من حكم بايزيد نشاطاً دبلوماسياً ملحوظاً ، حيث دفعت قضية جم السلطان بايزيد إلى أن ينفتح في علاقاته الخارجية مع الدول الأوروبية ، ويرسل مندوبيه إلى دول أوروبية عديدة ، وأقام اتصالات مع الروس ومع الباب إسكندر السادس ملك بورجيا ، وملك نابولي ، هذا إضافة إلى علاقاته مع رودس وملك فرنسا(٤٣) .

ومع بدايات القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي لم يفكر السلطان بايزيد الثاني بغزو جزيرة رودس ، أو أية مناطق أخرى ، وإنما أصدر أوامره بالاهتمام بالبحرية العثمانية العاملة في البحر المتوسط ، ففي عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م أمر السلطان بإصلاح السفن العثمانية كافة وترميمها ، وبتجهيز معدات وأدوات لبناء أربعمائة سفينة(٤٤) . وأخذ يبحث عن بحارة مهرة للعمل في الأسطول المزمع إنشاؤه ، فوجد ضالته في المسلمين الذين كانوا يشنون هجمات على السفن المسيحية في البحر المتوسط ، وهؤلاء كانوا يعملون على

---

(٤٢) Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 175.

(٤٣) نيقولا ڤاتان ، «صعود العثمانيين ١٤٥١ - ١٥١٢» ، تاريخ الدولة العثمانية ، إشراف روبير مانتران ، ترجمة بشير السباعي ، جـ ١ (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ١٥٥ .

(٤٤) Palmira Brummett, "Foreign Policy, Naval Strategy, and the Defence of the Ottoman Empire in the Early Sixteenth Century" International History Review (Canada) XI, 4, 1989, p. 615.

سواحل البحر الإيجي ، فعرض عليهم مناصب في البحرية العثمانية ، واستطاع أن يحصل على بعض البحارة المشهورين من أمثال كمال ريس وبوراق ريس وپيري ريس[٤٥] . واختلف المؤرخون حول الغرض من تلك التجهيزات العثمانية . وفي بدايات القرن المذكور كانت هناك ثلاث قوى رئيسة تنافس العثمانيين في شرق البحر المتوسط هي جمهورية البندقية ، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس ، وسلطنة المماليك في مصر والشام ، وأخذت كل هذه الدول احتياطاتها لمواجهة أي هجوم عثماني محتمل عليها ، وما يهم هذه الدراسة هنا هما البندقية ورودس .

وكما هو معلوم فقد كانت البندقية دولة تجارية ، يعتمد اقتصادها على قوافلها التجارية التي كانت تجوب البحر المتوسط ، وكانت علاقتها جيدة مع سلطنة المماليك ، ودخلت في نزاع مع الدولة العثمانية حول مدينة ليبانتو Lepanto[٤٦] ، وفي عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م استغاثت البندقية بأوروبا لمحاربة العثمانيين ، فاستجاب بابا روما وملك فرنسا وزودها ببعض المراكب الحربية

(٤٥) Andrew C. Hess, "The Evolusion of Ottoman Seaborne Empire in the Age of the Oceanic Dicoveries, 1453 - 1525" American Historical Review, Vol IXXV, 1970, p. 1905.

بيري ريس (٨٧٠ - ٩٦١هـ/ ١٤٦٥ - ١٥٥٤م) : ملاح وعالم وجغرافي مشهور ، وهو صاحب كتاب «البحرية» ، قاد أول حملة عثمانية إلى سواحل الخليج العربي مكونة من ٣٠ سفينة عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م ، ترك معظم السفن بالبصرة وعاد بسفينتين فقط إلى السويس فاتهمته الإدارة العثمانية بالخيانة وأعدم بالقاهرة عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م . لمزيد من المعلومات حول هذه الحملة انظر : د . فيصل الكندري ، «رسالة السلطان سليمان القانوني إلى حاكم البحرين» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٧ (جامعة الكويت ، إبريل ١٩٩٥) ص ٨٧ - ٩١ .

(٤٦) ليبانتو : ميناء يقع اليوم في بلاد اليونان يصل بين خليج باتراس Patras وخليج كورنتوس Korinth .

حيث تمت محاصرة جزيرة مدللي Midilli[٤٧] ، ولم تنجح هذه الحملة[٤٨] . ولكن بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها المنطقة نتيجة لاكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح[٤٩] ، وما أعقب ذلك من تحويل للطرق التجارية ، فقد دعت الحاجة جمهورية البندقية إلى الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية . ومن جهته أراد السلطان أن يتفرّغ لجبهة الأناضول ، لذا وقع اتفاقية مع البندقية في رجب عام ٩٠٨هـ/ ديسمبر ١٥٠٢م[٥٠] .

أما رودس فتختلف عن البندقية من حيث اعتماد اقتصادها على التجارة ، وإنما كان اقتصاد الجزيرة يعتمد أساساً على التبرعات التي يقدمها سكان الجزيرة لدعم الاقتصاد ، أما معظم الدخل فقد كان يأتي من الخارج ، هذا إضافة إلى الدخل الذي كان يأتي عن طريق ميناء رودس المحطة الرئيسية التي تلتقي وتلجأ إليها السفن الأوروبية التجارية والحربية العاملة في شرق البحر المتوسط ، كما كانت رودس مركزاً مهماً لتجارة الأقمشة والمسامير القادمة من البندقية ، ولتجار الحبوب والخمور والأجبان القادمة من جزيرة كريت ، ولتجارة الملح القادم من جزيرة قبرص ، كما كانت ملجأ اضطرارياً تلجأ إليه السفن الأوروبية في حالات الطوارئ للفرار من سوء الأحوال الجوية أو من هجمات القراصنة[٥١] .

---

(٤٧) مدللي : جزيرة تقع في بحر إيجه ، وتعرف اليوم باسم متليني Mitilini . انظر الشكل ٢ .

(٤٨) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٥ .

(٤٩) لمزيد من المعلومات حول اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح ، ومعاملة البرتغاليين للقوى السياسية المختلفة في الشرق انظر :

Faisal Alkanderi, The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century, ph. D. Thesis, University of Manchester, 1992, pp. 47 - 85.

(٥٠) نيقولا فاتان ، «صعود العثمانيين ١٤٥١ - ١٥١٢» ، ص ١٦٢ . وعن أهم بنود الاتفاقية انظر :

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, s 224.

(٥١) Palmira Brummett, "The Overrated Adversary: Rhodes and Ottoman Naval Power" Historical Journal (Great Britain) 1993, 36 (3) p. 518 n. 4.

أراد السيد العظيم Grand Master دو أوبسون D'Aubusson أن ينظم حملة صليبية ضد العثمانيين في عام ٩٠٦هـ/ ٢ - ١٥٠١م فأرسل رسله إلى كل من بابا روما وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ، وفي بدايات عام ١٥٠٢م ، استقبل رسولاً من قبل لادسلاس Ladislas ملك المجر ، ووعد لادسلاس بدعم أوبسون بحشد قوات صليبية ضد العثمانيين ، واقترح عليه أن يستثمر علاقاته الجيدة مع بعض الدول المعادية للعثمانيين من أمثال إمارة القرمان وجورجيا والدولة الصفوية وسلطنة المماليك ، وأن يحثهم على المشاركة في الحملة المذكورة ، إلا أن وعود ملك المجر كانت عاطفية أكثر منها واقعية ، وفشل أوبسون في تجميع الحملة ضد العثمانيين(٥٢) .

أما عن حجم الأسطول الرودسي في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فكان يتألف من أربع سفن محلية مختلفة الأحجام ، إضافة إلى ثلاث سفن من البندقية ، وأربع سفن فرنسية كانت تحت تصرف سيد رودس ، الذي كان يدفع تكاليف الإنفاق عليها ، وبلغ إجمالي عدد السفن التي كانت تحت تصرف الجزيرة إحدى عشرة سفينة ، وهذا الأسطول لا يقارن بحجم الأسطول العثماني ، وكانت رودس تدرك ضعفها مقارنة بالعثمانيين ، لذا لم تدخل في حرب بحرية مع العثمانيين ، وإنما كان نشاط أهلها يتركز بالدرجة الأولى على أسلوب الكر والفر ، وكانوا يعتمدون على متانة أسوار الجزيرة ، وبهذا فقد كانت مهمتهم دفاعية أكثر منها هجومية فضلاً عن التجسس لجمع معلومات عن تحركات العثمانيين ، وإخطار الدول الأوروبية بذلك(٥٣) .

وكانوا كلما وصلتهم تقارير عن تجهيزات عثمانية سارعوا إلى استئجار

(٥٢) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power" p. 519 - 520.

(٥٣) Plamira Brummett, "Foreign Policy", p. 616.

مرتزقة لزيادة أعداد الأسطول الرودسي لفترة تتراوح ما بين شهر واحد وستة شهور ، ومثال ذلك ما حدث عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م حيث طلب سيد رودس إلى السكان المحليين وبعض القباطنة المسيحيين الموجودين في الجزيرة العمل بالأسطول ، ووعدهم بمبالغ مغرية ، وتكرر الشيء نفسه عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م وعام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م(٥٤) .

وأخذت العلاقات العثمانية الرودسية خلال الفترة المتبقية من حكم السلطان بايزيد الثاني تتفاوت ما بين حرب وسلام وذلك وفقاً لظروف كل من الدولتين ، ودارت عدة حوادث بين الطرفين يمكن ذكر أهمها في التالي :

فعندما سمع السيد العظيم عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م بوجود عدة سفن لتجار أتراك بالقرب من شواطئ بلاد الشام ومصر ، أرسل أسطوله على الفور لنهب تلك السفن وعاد بكميات كبيرة من السلع التجارية ، كما قبض على خمس سفن عثمانية وضمها إلى ترسانة الجزيرة . وإزاء بناء السلطان بايزيد الثاني لسفن جديدة ، وإعادة ترميم السفن القديمة ، خشي السيد من هجوم عثماني محتمل على الجزيرة ، لذا أراد الاتصال بأعداء السلطان في بلاد الأناضول ، من أمثال الأمير مصطفى بن حمزة الذي قاد ثورة فاشلة في قرمان عام ٩٠٦هـ/ ١ - ١٥٠٠م ، والشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية في بلاد فارس ، حتى يقوم أولئك بمهاجمة الدولة العثمانية من الشرق(٥٥) . كما كان دوبسون يرسل للبندقية أحياناً يعلمهم عن التحركات العثمانية ، ورغم وجود معاهدة تحدد علاقة البنادقة بالعثمانيين ، فقد كانوا أحياناً يتعاونون مع رودس في التجهيز لمحاربة العثمانيين ، ومثال ذلك ما حدث عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م

---

(٥٤) Ibid, p. 619.

(٥٥) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 520 - 521.

عندما سمعت البندقية بخروج البحار التركي المعروف كمال ريس على رأس مائة سفينة ، وسبب ذلك أن العثمانيين كانوا يعدّون أساطيلهم بسرية تامة ، ولا يعلمون أحداً بوجهة الحملة ، وهذا يجعل الكل يتوقع أن العثمانيين خرجوا لحربهم(٥٦) .

وتوفي دوبسون في ١٠ ذي الحجة ٩٠٨هـ/ ٣ يونيو ١٥٠٣م ، فاختار مجلس الجزيرة في يوليو شخصاً آخر مكانه يُعرف باسم أمري أمبواز Amery d'Ambosie (٩٠٨ - ٩١٧هـ/ ١٥٠٣ - ١٥١١م) ، وكان هذا موجوداً في فرنسا عند اختياره ، وهنا خشي أهالي الجزيرة من أن يستغل السلطان هذه الفرصة ويشن هجوماً عليها ، فأرسلوا رسائل إلى السلطان بايزيد وإلى ابنه الأكبر قورقود(٥٧) ، وأخبروهما بوفاة السيد دوبسون واختيار أمريغو مكانه ، وعرضوا عليه أن يبدأوا حقبة جديدة من العلاقات السلمية ، وعادت الرسائل بإمكانية الاتجار بحرية مع شواطئ الأناضول . واستغل غزاة البحر المسلمون هذه الفرصة فقاموا بشن هجوم على بعض المناطق التابعة للجزيرة وأسروا مائة وأربعين شخصاً ، فأرسل مجلس الجزيرة سفناً نجحت في رد المهاجمين ، وفي تحطيم ثماني سفن غازية وأسر سفينتين(٥٨) .

---

(٥٦) Loc. Cit.

(٥٧) سافر قورقود إلى القاهرة في شهر صفر ٩١٥ هـ/ مايو ١٥٠٩م لمقابلة السلطان قونصوه الغوري بحجة خلافه مع والده وطلب إلى السلطان الغوري التوسط للإصلاح بينهما ، ووصفه ابن إياس بالتالي : «وكان صفة قرقد بيك بن عثمان رجلاً شاباً في عشر الأربعين ، معتدل القامة ، عربي الوجه يميل إلى الصفرة ، نحيف الجسد ، أسود اللحية ، جميل الهيئة ، وعلى رأسه عمامة تركمانية ، وهي صغيرة دون عمائم جماعته . . .» انظر : ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٤ (القاهرة ، ١٩٨٤) ص ١٥٤ .

(٥٨) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 524 - 525.

وفي شوال ٩٠٩هـ/ مارس ١٥٠٤م دخل العثمانيون في مفاوضات مع الروديسيين من أجل تبادل الأسرى وتشجيع التجارة بين الطرفين ، فقد أرسل قورقود بن السلطان بايزيد أحد رجاله إلى رودس يُعرف باسم محمد بك Mehmed Beg ، وعرض عليهم السلام في مقابل إطلاق سراح كمال بك ، الذي كان ذا منصب رفيع في القصر العثماني ، وكان يشغل منصب قابجي باشي Kapici basi (رئيس البوّابين) ، وأعرب محمد بك عن استعداد السلطان العثماني لإعادة السفن الرودسية التي أسرها كرد أوغلو Kurdoğlu - أحد قباطنة الدولة العثمانية - وعندما تم الاتفاق بين الطرفين أطلق قورقود سراح كل الأسرى الرودسيين ، وقبل إتمام الاتفاق قام محمد بك بالقبض على ثمانية أشخاص من رودس ممن كانوا قد نزلوا إلى الميناء ، فقام الرودسيون من جهتهم بالقبض على عشرين تركيا ، وأدى هذا إلى وقوع مناوشة بين الطرفين ، سقط أثناءها محمد بك من على ظهر سفينته وغرق في الماء ، فكاتب قورقود السيد قائلاً إنهم لم يظهروا نوايا حسنة ، وبهذا لم يتم التوصل إلى نوع من الوفاق بين الطرفين ولم توقع أية اتفاقية سلام بينهما(٥٩) .

وفي ربيع الأول ٩١٠هـ/ سبتمبر ١٥٠٤م ، وصل السيد الجديد أمبواز إلى رودس ، وفي ٢٥ ربيع الأول/ ٥ سبتمبر عقد أول اجتماع له ، وطالب بأن تبقى بعض السفن في ميناء الجزيرة طوال شهر أكتوبر وأن يتحمل أهل جزيرة رودس أعباءً مالية إضافية للإنفاق على السفن المؤجرة وعلى العاملين عليها في الظروف غير العادية ، وأن يراسلوا البابا طالبين منه أن يستحث حكام أوروبا على أن يتبرعوا لخزينة رودس ، كما شدد الرئيس الجديد إجراءات الأمن على بوابات قلعة مدينة رودس ، ورمم أسوار بقية القلاع(٦٠) .

(٥٩) Plamira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 526 - 527.

(٦٠) Op. Cit, p. 527 - 528.

وردت إشاعات بأن حملة عثمانية ستخرج لمحاربة رودس في عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م ، ومن خلال التقارير التي أرسلها الجواسيس تأكد لسكان جزيرة رودس أن هناك حملة عثمانية تتكون من ثلاث أو أربع سفن ، أعدت بقيادة كمال ريس ، أحد أشهر القادة العثمانيين الذين لمعوا في حروب البحر المتوسط ، وفي إبريل قام كمال ريس بمهاجمة الجزيرة ، وتمكن فرسان ومشاة الجزيرة من صد قواته . وبررت الدولة العثمانية هذه الحملة ضد رودس بأنها للقضاء على القرصنة في البحر المتوسط سواء كانت تركية أو رودسية ، ومما يعزز هذا التبرير أن كمال ريس قبض أثناء سيره في نفس فترة هذه الحملة - أي ما بين مارس ومايو - على قرصان تركي يعرف باسم قره دورمش ، واستولى كمال ريس على سفنه ، ولما هرب قره دورمش ، قام كمال ريس بحرق مقر إقامته ، وقتل سبعين نفراً من أتباعه[٦١] كما طارد قرصاناً آخر هو قره حسن[٦٢] .

وفي عام ٩١٢هـ/ ٧ - ١٥٠٦م أرادت رودس أن تحتال على اتفاقها مع قورقود ، فأقر مجلس أو ديوان الجزيرة غارات المواطنين الخاصة ، وذلك عندما طلب بعض فرسانهم إذناً بالسماح لهم بتسليح سفنهم للإغارة على ما يدعونهم «بالكفار» سواء كانوا عثمانيين أو مماليك أو مغاربة ، فوافق الديوان على ذلك شريطة ألا يتعرضوا لموانئ جنوب شرقي الأناضول أو قناة جزيرة خيوس . كما منع سيد رودس أعضاء الديوان من تسليح السفن والاشتغال في أعمال القرصنة[٦٣] .

(٦١) Palmira Brummett, "Foreign Policy", p. 626.

(٦٢) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 528.

(٦٣) Ibid, p. 529.

وفي عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٨م جرت اتصالات مملوكية عثمانية ، فتوجه كمال ريس إلى القاهرة(٦٤) ، فأرسل قونصوه الغوري رسوله إلى استانبول لمقابلة السلطان بايزيد في عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م من أجل مساعدة البحرية العثمانية على الوقوف في وجه البرتغاليين(٦٥) . إلا أن فرسان القديس يوحنا فسرّوا تلك التحركات بأنها قد تكون تعاوناً إسلامياً من أجل شن هجوم مشترك على رودس ، فأمر سيد رودس بتجهيز الأسطول في سرية تامة ، فأُعدت ٢٢ سفينة لهذه الغاية ، وكانت خطتهم تنص على مهاجمة ميناء إياس المملوكي(٦٦) . وقد اعتاد الرودسيون على شنّ هجمات على السفن التجارية الذاهبة أو القادمة من سواحل مصر(٦٧) . ودفع ذلك المماليك إلى تجهيز حملة بقيادة محمد بك - أحد أقرباء السلطان قونصوه الغوري - للحد من نشاط الرودسيين في البحر المتوسط(٦٨) ،إلا أن الفرسان وبناء على التقارير التي تلقوها حاولوا أن يباغتوا المماليك قبل تجهيز حملتهم ، فوصل الأسطول الرودسي إلى قلعة إياس ، وفي يوم الأحد ١٠ جمادى الآخرة ٩١٦هـ/ ١٤ سبتمبر ١٥١٠م نشب قتال بين الفريقين فتخلى رجال محمد بك عنه ، فقُتل محمد وقُتل من كان معه من الجند ، واستولى

(٦٤) لم يخبرنا ابن إياس عن سبب الزيارة ، ويحتمل أن تكون زيارته للوقوف على أحوال الأسطول المملوكي . وقد امتدح ابن إياس كمال ريس بقوله : « . . . إنه لا يكل ولا يمل من الجهاد في الفرنج ليلاً نهاراً حتى أعيى الفرنج أمره ، وأنه رأس المجاهدين المرابطين في الإسلام . . .» ، ولما قابل السلطان الغوري أكرمه غاية الإكرام وبالغ في ذلك . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١١٩ .

(٦٥) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 534

(٦٦) Ibid, p. 535.

(٦٧) عن هذه الحوادث يقول ابن إياس إنه في عام ٩٩١هـ/ ١٥٠٥م زاد اعتداء الفرنج على السفن وأخذ أموال الناس . انظر : ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ .

(٦٨) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٩ .

الفرسان على مراكبه بما فيها من الأسلحة وآلات الحرب ، وكانت تلك المراكب نحو ثمانية عشر مركباً ، وكرد فعل على هذا الاعتداء قام السلطان الغوري بإلقاء القبض على رهبان كنيسة القيامة في بيت المقدس ، وعلى كل الأجانب (الفرنج) الموجودين بالإسكندرية ودمياط وغير ذلك من الموانئ المملوكية(٦٩) .

كما استنجد المماليك بالدولة العثمانية لتعينهم على الوقوف في وجه البرتغاليين ، ولتقدم لهم يد المساعدة ، فأرسل السلطان الغوري أحد رجاله إلى الدولة العثمانية لشراء أخشاب وحديد ونحاس لبناء سفن لمحاربة السفن الأوروبية ، ولما بلغ السلطانَ بايزيد ذلك ، ردّ الأموال وجهز عدة مراكب مزودة بالمواد المطلوبة ، وأرسلها هدية منه للسلطان المملوكي(٧٠) .

نلاحظ خلال هذه الفترة من حكم السلطان بايزيد أنه لم يفكر بتجهيز حملة كبيرة لغزو رودس - رغم الإمكانات الضخمة التي كانت متوافرة للدولة العثمانية - وذلك ناتج من اهتمام السلطان بمحاربة الشاه إسماعيل الصفوي ، الذي باشر تأسيس دولته وتوسيعها في الأناضول على حساب الدولة العثمانية(٧١) ، أما عن استراتيجيته البحرية فقد خصصت - كما لاحظنا -

(٦٩) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٧٠) يقول ابن إياس : « . . . فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدة ثلاثمائة ، ونُشّاب ثلاثين ألف سهم ، وبارود مطيّب أربعون قنطاراً ، ومقاذيف خشب العدة ألفي مقذاف ، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسي حديد ، وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب» ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ .

(٧١) كان الشاه إسماعيل على اتصال بأعداء السلطان بايزيد . ففي ١٥ جمادى الأولى ٩١٢هـ/ ٣ أكتوبر ١٥٠٦م أرسل رسالة إلى الحاكم الجديد لجزيرة رودس ، وأطلعه على النزاع الدائر بينه وبين السلطان بايزيد ، وطلب إلى حاكم رودس تسليم مراد بن جم إليه ليستخدمه سلاحاً ضد السلطان . Şerafettin Turan, “Rodos’un Zaptindan” s 52

لمساعدة المماليك على الوقوف في وجه البرتغاليين الذين أخذوا يهددون المقدسات الإسلامية في الحجاز ، لذا لم تحظ رودس باهتمام السلطان في هذه المرحلة ، أما في أواخر أيام حكم السلطان بايزيد فقد دخل في نزاعات مع أبنائه الثلاثة الذين أخذوا ينازعونه السلطة(٧٢) .

السلطان سليم الأول :

استطاع سليم (٩١٨ - ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ - ١٥٢٠م) أن يحظى بعرش الامبراطورية بمساعدة رجال الجيش الانكشارية ، وحتى تستقر أمور سلطنته كان لا بد له من أن يقضي على منافسيه على السلطة لتأمين الجبهة الداخلية قبل أن يفكر بالتوسع خارجياً ، فدخل في نزاع مع أخويه قورقود وأحمد ، فاستطاع أن يمسك بأخيه قورقود في الجبال المحيطة بمدينة صاروخان ويقتله ، وتقاتل مع أخيه أحمد وهزمه بالقرب من مدينة يني شهر Yenisehir(٧٣) ، وبهذا تخلّص من منافسيه ، وبعدها توجه بأنظاره إلى الدولة الصفوية التي وقفت إلى جانب

(٧٢) كان للسلطان بايزيد ثلاثة أبناء وهم قورقود الأكبر ، الذي اشتهر بالاشتغال بالعلوم والآداب ومجالسة العلماء ، وأحمد الذي كان محبوباً من قبل الأمراء والأعيان ولاسيما من قبل الصدر الأعظم علي باشا ، وسليم الذي كان مقرباً من رجال الجيش والإنكشارية ، فعين السلطان بايزيد قورقود على إحدى الولايات البعيدة ، وأحمد على أماسيا ، وسليم على طرابزون ، فأراد كل منهم الاقتراب من العاصمة لضمان الوصول إليها بسرعة في حالة وفاة والدهم ، وأرسل بايزيد جيوشاً لمحاربتهم ، وانتهى الأمر في النهاية لصالح ابنه الأصغر سليم ، الذي وصل إلى قصر السلطان بمساعدة الإنكشارية ، وطلبوا إلى بايزيد التنازل لصالح سليم فتنازل في ٨ صفر ٩١٨هـ/ ٢٥ أبريل ١٥١٢م .

لمزيد من المعلومات حول صراع أبناء بايزيد انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ونيقولا ڤاتان ، «صعود العثمانيين ١٤٥١ - ١٥١٢» ، تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٧٣) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٨ .

أخيه أحمد أثناء حكم والده ، وأثناء نزاعه معه في بداية توليه السلطة ، كما كانت بلاد فارس ملاذاً للفارين من وجهه ، هذا إضافة إلى الخلافات المذهبية بين الدولتين ، حيث كانت الدولة الصفوية تنشر المذهب الشيعي في شرق بلاد الأناضول ، كما كانت تحرض القبائل الشيعية هناك على القيام بثورات ضد الدولة العثمانية لذا كان لا بد من أن يتوجه إليها شخصياً ، فدارت معركة چالديران عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م بين الطرفين انتهت بانتصار حاسم للعثمانيين ودخولهم تبريز عاصمة الدولة الصفوية ، وفرار الشاه إسماعيل الصفوي من وجه السلطان سليم ولجوئه للجبال(٧٤) .

وبعد هذه الهزيمة أراد الشاه إسماعيل أن يبحث عن تحالف أوروبي ضد العثمانيين فبعث برسالة إلى كاريتو Carretto حاكم رودس في ٢٤ شعبان ٩٢١هـ/ ١ أكتوبر ١٥١٥م ، وطلب إليه أن يتعاون معه من أجل شن هجوم مشترك على العثمانيين ، وأن يسلمه مراد بن جم ، ورغم إلحاح الشاه إسماعيل فإن حاكم رودس رفض تسليم مراد بن جم(٧٥) .

فكّر السلطان سليم بأن يضم منطقة بلاد الشام ومصر للحكم العثماني ، وقد استغل السلطان سليم فرصة تحرّش علاء الدين أمير إمارة القرمان(٧٦) بمؤخرة الجيش العثماني أثناء انشغال السلطان سليم بمحاربة الصفويين ،

---

(٧٤) د . عبدالرحيم عبدالرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٨٦) ص ١٦ .

(٧٥) Şerafettin Turan, “Rodos’un Zaptindan” s 52.

(٧٦) إمارة تركمانية الأصل ، وهي إحدى الإمارات التي ظهرت على أنقاض دولة سلاجقة الروم عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م ، واستمرت حتى عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م حين قضى الوزير العثماني فرهاد باشا عليها وضم ممتلكاتها نهائياً للدولة العثمانية . (لمزيد من المعلومات انظر : محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي : ٨ العهد العثماني ، ص ٥٥ - ٥٧) .

فقضى على علاء الدين ، وعيّن السلطان سليم علي بن شاه سوار الموالي له أميراً على القرمان ، فاعتبر السلطان المملوكي قونصوه الغوري هذا عملاً عدائياً ضد دولة المماليك ، فدارت معركة قوية بين الطرفين هي معركة مرج دابق عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ، وانتهت بمقتل السلطان الغوري ووقوع بلاده في أيدي العثمانيين ، ثم زحف السلطان سليم بجيوشه ودخل القاهرة بعد موقعة الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وتحولت مصر إلى ولاية عثمانية . وأثناء وجود السلطان سليم بالقاهرة أرسل الشريف بركات مفاتيح الحرمين الشريفين مع ابنه الذي سلمها بدوره للسلطان إعلاناً بقبول التبعية العثمانية(٧٧) .

أما فيما يتعلق بجزيرة رودس فقد كان سكانها يصيبهم هلع كلما شاهدوا أسطولاً عثمانياً يتجول في البحر المتوسط ، وفي هذه الحالة كان سيد رودس يستأجر السفن الموجودة في ميناء الجزيرة ، ويقوم كذلك بتخزين اللحم والملح تحسباً لأي حصار من قبل العثمانيين ، إضافة إلى تشديد إجراءات الأمن ، وتغيير أقفال البوابات خشية حصول جواسيس العثمانيين على نسخ منها ، وكان يُطلب في مثل هذه الظروف إلى رجال المدفعية أن يبيتوا في مواقعهم على الأسوار ، كما كانوا يرسلون المندوبين إلى بابا روما ليرسل نجدة للدفاع عن رودس وهو ما حدث في أعوام ٩١٨ - ٩١٩هـ/ ١٥١٢ - ١٥١٣م(٧٨) .

وفي عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م تم انتخاب فابريس كاريتو Fabrice Caretto سيّداً على رودس ، فباشر صلاحياته بطلب كميات كبيرة من المدافع من فرنسا للدفاع عن مدينة رودس ، كما أقام علاقات حسنة مع الدولة الصفوية المعادية للعثمانيين ، وفي عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م استقبل كاريتو مندوب الشاه إسماعيل

(٧٧) د . عبدالرحيم عبدالرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٩ - ٢٤ .

(٧٨) Palmira Brummett, “Foreign Policy”, p. 618.

الصفوي ، حيث قدم إليه هدايا كثيرة من سيده ، وهَدَفَ الطرفان الصفوي والرودسي من هذا التنسيق إلى مواجهة التفوق العثماني ، فأرسل كاريتو إلى أوروبا طالبا النجدة ، كما طلب إلى الحاكم العام لجزيرة صقلية أن يرسل أسطولاً لمساعدة جزيرة رودس ، وأُعطي الرسول ٦٠٠٠ دوكا لشراء مؤونة للجزيرة(٧٩) .

وفي عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ظهر أسطول عثماني مكون من أكثر من مائة سفينة ، بعضها كانت تحمل مؤونة ، بينما البقية كانت عبارة عن سفن لنقل الجنود والمعدات ، واتخذ طريقه إلى سواحل بلاد الشام ومصر لدعم القوات البرية هناك ، واعتبر هذا العدد الكبير من السفن أضخم أسطول عثماني يشاهد في البحر المتوسط منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وعندما علم كاريتو بتقدم هذا الأسطول قام بإجراءات أمنية غير طبيعية تحسباً لهجوم عثماني ، ولم يكن في نية العثمانيين مهاجمة جزيرة رودس ، إلا أن الخوف من هجوم عثماني كان سمة غالبة في الجزيرة في هذه الفترة(٨٠) .

ونتيجة لتوتر العلاقات العثمانية - المملوكية ، أراد سيد رودس - في ذلك العام - أن يستغل هذا الظرف لصالحه ، فأرسل مندوبه لمصر بينما كانت قوات السلطان سليم تسير باتجاه بلاد الشام ، وكان هدف كاريتو أن يتم إطلاق سراح أربعين رودسيا تم أسرهم في دمياط ، وأن يعيد العمل بشروط الاتفاقية التي أبرمت بين الطرفين في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٩٦م) ، علماً بأن العلاقات بينهما قد ساءت بعد الاعتداء الذي قام به الرودسيون على الأسطول المملوكي عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م ، وهدف كاريتو من ذلك إلى الحصول على حرية تجارة الحبوب والشعير وبقية المواد الغذائية في

---

(٧٩) Idem, "Rhodes and Ottoman Naval Power", p. 538 - 539.

(٨٠) Palmira Brummett, "Foreign Policy", p. 618.

الأراضي المملوكية ، وعاد الرسول إلى رودس للتصديق على شروط الاتفاقية ، فوصل الجزيرة برفقة رسول مملوكي في ذي القعدة ٩٢٢هـ/ نوفمبر ١٥١٦م ، وفي مقابل تلك الامتيازات طلب المماليك مائة مدفع من الرودسيين ، وضاعت تلك الجهود سدى لأن مصر سقطت في أيدي السلطان سليم بعد شهرين . وتوقف الأسطول العثماني أثناء عودته في جزيرة رودس ليزف لهم نبأ انتصارات السلطان سليم في بلاد الشام ومصر ، فقدّم كاريتو تهانيه لهم ، ثم أبحر الأسطول عائداً إلى إستانبول(٨١) .

وفي أواخر أيام السلطان سليم أمر بحريته بالتجهّز لحرب جزيرة رودس ، إلا أنه توفي يوم ٩ شوال ٩٢٦هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٥٢٠م ، قبل أن يكمل مشروعه ، وجاء بعده ابنه السلطان سليمان الأول(٨٢) .

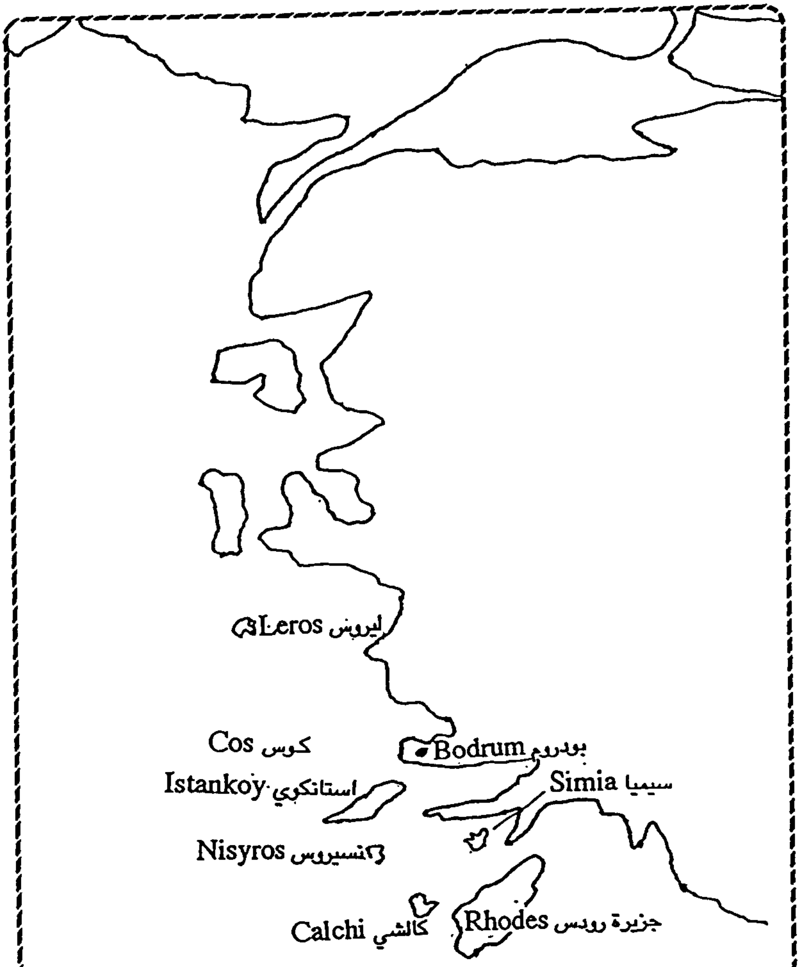
السلطان سليمان الأول (القانوني) :

تولى السلطان سليمان (٩٢٦ - ٩٧٣هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) الحكم بعد والده السلطان سليم ، وكان عمرُه آنذاك خمسة وعشرين عاماً ، فأراد هذا السلطان الشاب أن يحقق ما عجز عنه آباؤه ، فبدأ سلطنته بمحاصرة مدينة بلغراد العتيدة ، وسقطت في يده في ٢٧ رمضان ٩٢٧هـ/ ٣١ أغسطس ١٥٢١م . ثم اتجه بأنظاره إلى جزيرة رودس التي استطاعت حتى هذا التاريخ أن تقف متحدية العثمانيين ، ولن نخوض هنا في تكرار ما قاله عبدالرحيم العباسي مؤلف المخطوطة التي بين يدينا ، وستتناول ذلك بالتفصيل في الفصل القادم عند دراستنا للمخطوطة .

---

(٨١) Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power" p. 540 and see also n. 72.

(٨٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٧ .



ممتلكات فرسان القديس يوحنا في البحر الإيجي عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م

شكل (١)

الفصل الثاني

دراسة المخطوطة

أولاً : التعريف بالمؤلف

ـ حيـاتـه

هو عبدالرحيم بن عبدالرحمن[١] بن أحمد بن حسن بن داود بن سالم أبو الفتح بدر الدين العباسي ، ينحدر عبدالرحيم العباسي من أسرة عريقة اشتهرت بالقضاء ، وُلد والده عبدالرحمن سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م بحماة ، ونشأ بها منكباً على العلوم الشرعية ، فحفظ القرآن ، ودرس العربية والفقه ، وناب عبدالرحمن عَنْ والده في قضاء حماة ، وانتقل والده إلى نظارة الجيش بدمشق ، تقلد والده عدة مناصب إلى أن توفي في ١٠ رمضان ٨٩٣هـ/ ١٨ أغسطس ١٤٨٨م[٢] ، وكان لعبدالرحمن أخٌ أصغر منه اسمه محمد ولد عام ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م ، وتولى قضاء حماة سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م ، وانتقل عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م لتولي قضاء دمشق[٣] . ورزق عبدالرحمن بولدين أولهما محمد الذي تولى قضاء حماة حين انتقل والده إلى نظارة دمشق عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م ،

(١) أشار نجم الدين الغزي إلى أن اسم والده أحمد وليس عبدالرحمن ، وهذا ما انفرد به عن غيره من المؤرخين ، حيث أجمع الآخرون على أن اسم والده عبدالرحمن .

(٢) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) جـ ٤ ، القاهرة ، ١٣٥٤ ، ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٣٠٤ .

ومات محمد بدمشق مصاباً بالطاعون عند رجوعه من القاهرة سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٤م(٤) . وأما الآخر فهو عبدالرحيم مؤلف هذه المخطوطة .

وُلد عبدالرحيم في القاهرة يوم السبت ٢٤ رمضان ٨٦٧هـ/ ١٢ يونيو ١٤٦٢م(٥) ، وتتلمذ على يد علماء عصره ، فدرس العلوم الأدبية ، وعلم البلاغة والحديث والتفسير ، وكان ذا ثقافة واسعة في التاريخ والمحاضرات ويحفظ عدداً كبيراً من القصائد العربية ، كما كان بليغ الإنشاء ، وحسن النظم ، وذا خط جميل ، والمخطوطة التي بين يدينا خير دليل على ذلك لأنها كتبت بخط يده . أما عن أخلاقه فقد كان «صاحب خلق عظيم وبشاشة ، لطيف المحاورة ، حلو المحاضرة ، وكان متواضعاً ، يبجّل الصغير ، ويوقّر الكبير»(٦) .

سافر عبدالرحيم العباسي في عهد السلطان الغوري إلى القسطنطينية ، وذلك مع رسول الغوري [٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ - ١٥١٦م](٧) للسلطان

(٤) المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٢٨٣ .

(٥) نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، جـ٢ (بيروت ، ١٩٤٩) ص ١٦١ . قال السخاوي إنه ولد في رمضان ٨٦٦/ يونيو ١٤٦٢ . (السخاوي ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ص ١٧٩) .

(٦) طاشكبري زادة ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (بيروت ، ١٩٧٥) ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٧) هو السلطان قونصوه بن عبدالله الشركسي ،ولد في حوالي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م ، ترقى في المناصب ، فولي نيابة طرسوس عدة مرات ، تسلطن في يوم عيد الفطر من عام ٩٠٦/ ١٥٠١م وأخذ يتتبع أمراء المماليك وذوي الشوكة والبأس منهم فيقتلهم ليخلو له الجو ، وكان ظالماً يصادر أموال الناس من غير حق ، خرج عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦ من مصر إلى بلاد الشام لنزال السلطان سليم العثماني ، ودارت معركة حامية بين المماليك والعثمانيين ، هزم فيها الجيش المملوكي ، وفُقد السلطان الغوري تحت سنابك الخيل ، وتمكن ابن عثمان من امتلاك بلاد الشام ثم تمكن من مصر . (انظر : نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٧ ، وابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ ٥ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٨٩ - ٩٥) .

بايزيد الثاني [٨٨٦ - ٩١٨هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢م][٨]، وكان له شرح لصحيح البخاري فقدمه للسلطان بايزيد، وكافأه السلطان على ذلك، وعرض عليه تدريس الحديث بالمدرسة التي كان قد أنشأها السلطان بالقسطنطينية، ولم يقبل العباسي العرض، وفضّل الرجوع إلى القاهرة، وبعد انقراض دولة المماليك عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، عاد العباسي إلى القسطنطينية، ومكث فيها مدة طويلة إلى أن توفي هناك عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، عن عمر يناهز المائة[٩] .

- مـؤلـفـاتـه

ترك لنا العباسي العديد من المؤلفات، لكننا لا نعلم شيئاً عن معظم هذه المؤلفات، ولم تصلنا، وعلمنا عنها من خلال كتب التراث التي عدَّدت مؤلفات العباسي، ويمكن إيجازها في التالي :

١ - تاريخ قضاة دمشق[١٠] .

٢ - شرح ألفية ابن مالك[١١] .

---

(٨) هو ثامن السلاطين العثمانيين، ولد عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م، تسلطن بعد وفاة أبيه السلطان محمد الفاتح سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، وعمره عندها ٣٠ عاماً، كان محباً للخيرات، ميالاً للعلم والعلماء، فثار عليه ابنه سليم يريد الملك لنفسه، فرأى بايزيد أن يتنازل له عن السلطنة حقنا للدماء فترك الحكم لولده وتوجه إلى نواحي أدرنة، وتوفي عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م . (لمزيد من المعلومات انظر : نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، جـ ١ (بيروت، ١٩٤٥)، ص ١٢٢ - ١٢٤) .

(٩) طاشكبري زادة، الشقائق النعمانية، ص ٢٤٦ .

(١٠) السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٤ ص ١٧٩ .

(١١) المصدر السابق، جـ ٤ ص ١٧٩ .

٣ - شرح صحيح البخاري[١٢]، أسماه الزركلي «فيض الخاطر بشرح غريب صحيح البخاري»[١٣].

٤ - معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص[١٤].

٥ - شرح مقامات الحريري[١٥].

٦ - شرح على الإرشاد في فقه الشافعية[١٦].

٧ - شرح على الخزرجية في علم العروض[١٧].

٨ - نظم الوشاح على تلخيص المفتاح[١٨].

٩ - حاشية على الغيث المسجم [المنسجم] شرح لامية العجم للصفدي[١٩].

١٠- نثر الدر الثمين في عرس مولانا جعفر الأمين[٢٠].

١١- منح رب البرية في فتح رودس الأبية، وهو موضوع هذه الدراسة.

(١٢) طاشكبري زادة، الشقائق النعمانية، ص ٢٤٦، والغزي، الكواكب السائرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(١٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٣ (بيروت، ١٩٨٠) ص ٣٤٥، وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، جـ ١ (بغداد، بدون تاريخ [ب. ت.]) ص ٥٦٣، وطاشكبري زاده، الشقائق النعمانية، ص ٢٤٦.

(١٤) طاشكبري زادة، الشقائق النعمانية، ص ٢٤٧، والزركلي، الأعلام، جـ ٣ ص ٣٤٥، والبغدادي، هدية العارفين، ص ٥٦٣.

(١٥) الغزي، الكواكب السائرة، جـ ١ ص ١٦٤، وعبدالفلاح بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (القاهرة، ١٣٥١) جـ ٨ ص ٣٢٦.

(١٦) الغزي، الكواكب السائرة، جـ ٢، ص ١٦٤، و البغدادي، هدية العارفين، ص ٥٦٣.

(١٧) الغزي، الكواكب السائرة، جـ ٢، ص ١٦٤.

(١٨) الزركلي، الأعلام، جـ ٣ ص ٣٤٥، والبغدادي، هدية العارفين، ص ٥٦٣.

(١٩) البغدادي، هدية العارفين، ص ٥٦٣.

(٢٠) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ثانياً : المخطوطة

أهمية المخطوطة

تأتي أهمية هذه المخطوطة من عدة اعتبارات :

١ - كُتبت من قبل شخص شارك شخصياً في حملة جزيرة رودس ، لذا فقد عاصر الأحداث ، وهو شاهد عين على الوقائع ، ودلائل ذلك كثيرة ومتعددة منها أنه وصف حالة الطقس وصفاً دقيقاً ، ووصف كذلك المنازل والقرى التي نزل فيها السلطان سليمان الأول (القانوني) ، كما وصف لنا مدينة رودس وصفا تفصيلياً ، ومن عباراته الواردة في المخطوطة نقتبس التالي للاستدلال على أنه شارك شخصياً في الحملة : « . . . فنزل بمنزل يسمى دنغوزلي ، وهو مرج واسع جداً ، وكانت الطريق إليه وعرة المسالك ، صعبة على السالك ، متعددة الهبوط والصعود . . » ، وقوله : « . . . فنزل وقت الضحوة الكبرى عند قرية تسمى تاتدكلي ، وهو موضع كثير التراب والعجاج ، واسع الشعاب والفجاج ، غير أن الحر به وافر الأقسام ، شديد الاضطراب والاضطرام ، فقضينا يوماً أطول من ظل القناة ، وحيينا به وقتاً مكدر الحياة ، ولقد كنا نرجو بمغيب شمسه ، وزوال بوسه ، وحضور أنسه . . .» . وقوله أيضاً : « . . . زاد وجه الجو اكفهراراً ، وأرسلت السماء علينا مدراراً . . . .» .

٢ - النسخة التي اعتمدت هنا في نشر المخطوطة لم يعهد بها المؤلف إلى ناسخ ليقوم بذلك ، وإنما كتبها بخط يده ، وهذا يزيد المخطوطة أهمية .

٣ - ذكر المؤلف المنازل والمحطات التي نزل بها السلطان سليمان ، وزوّدنا بمعلومات عن خط سير السلطان ، وفي ذلك إشارة إلى تلك الطرق التي

كانت تُسلك في بدايات القرن السادس عشر الميلادي للتنقل من شمال بلاد الأناضول إلى جنوبها الغربي ، حيث كان يذكر اليوم والتاريخ ووقت المغادرة أو الوصول إلى المكان ، مما يمكننا أيضاً من تحديد الوقت الذي كان يستغرقه السلطان في الترحال من مكان لآخر .

٤ - اعتاد المؤلف تقديم بعض المعلومات الجغرافية والاستراتيجية عن المدن والقرى التي زارها السلطان في حملته ، وكان يذكر إضافة إلى تبيان حالة طقس المدينة تحصيناتها الدفاعية .

٥ - نهج المؤلف في مؤلفه منهج كتابة الأحداث وفقاً للحوليات ، وهو بذلك أشبه ما يكون بالمذكرات اليومية عن حملة رودس .

٦ - انفرد المؤلف بذكر معلومات دقيقة عن حصار العثمانيين لجزيرة رودس ، وهذه المعلومات لا يمكن الحصول عليها من المصادر العثمانية أو العربية ، حيث إن معظم تلك المصادر لا تذكر أي شيء عن رودس سوى أن العثمانيين امتلكوها عام ١٥٢٢م .

٧ - تكتسب هذه المخطوطة أهمية خاصة لأنها كتبت باللغة العربية ، وظهرت في فترة تندر فيها الكتابات العربية التي أرّخت للوقائع التاريخية التي وقعت خارج حدود العالم العربي ، وهنا تأتي هذه المخطوطة لتنير الطريق أمام الباحثين في تاريخ الدولة العثمانية من المتخصصين بالقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي .

التعريف بالمخطوطة

لم يذكر المؤرخون السابقون هذا المؤلف ضمن مؤلفات العباسي ، ولا ندري سبب ذلك ، اللهم إلا أن يكون قد كتبه أثناء وجوده بالقسطنطينية ، ولم

يعلم أولئك عنه . وهناك إشارة وحيدة إلى هذا الكتاب ذكرها المؤرخ نجم الدين الغزي بقوله : «... وكم للسيد المذكور رحمه الله تعالى في فتوحات السلطان سليمان ووقائعه من قصد نضيد خصوصاً في فتح رودس...»(٢١) ، والغزي لم يذكر المؤلف صراحة ، إلا أنه أشار إلى أن العباسي كتب عن فتح رودس .

وتوجد المخطوطة التي بين يدينا الآن في اسطنبول ، في مكتبة قصر طوپ قابي ، قسم خزينة Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi, Hazine No: 1599

وقد رجعنا إلى فهارس المخطوطات من أمثال : بروكلمان ، وكاتب چلبي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وإسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، وبورسه لي محمد طاهر : عثمانلي مؤلفلري وغيرها ، ولم نجد ذكراً للمخطوطة ، كما لم نعثر على نسخة أخرى للمخطوطة(٢٢) .

وصف المخطوطة

تقع المخطوطة في ٦٩ لوحة من الحجم الصغير (A5) ، بمقياس ٧ بوصة × ٥ بوصة (١٨ × ١٢ سم) وقد نسخت بخط نسخ واضح سهل القراءة ، بواقع تسعة أسطر في الصفحة ، وبمعدل سبع كلمات في كل سطر ، وقد استخدم اللون الذهبي في كتابة بعض الكلمات ، وغلاف الكتاب رسم بإطار وبخط ذهبي اللون .

---

(٢١) الغزي ، الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(٢٢) يشير فهرس المخطوطات بمكتبة قصر طوب قابي إلى وجود نسخة أخرى من المخطوطة تحت رقم : M 518 ولكن بالرجوع إلى الرقم المشار إليه اتضح أنه كتاب آخر يحمل اسم : «الدر المنظوم في فضائل الروم» وبهذا تكون النسخة التي بين يدينا هي النسخة الوحيدة . انظر : Fehmi Edhem Karatay, Topkapi Sarayi Kütüphanasi Arapca Yazmalari Katalogu, C III, (Istanbul, 1966) s 477.

وبما أن المخطوطة كتبت في القرن السادس عشر الميلادي ، لذا تميزت بكثرة المحسنات اللفظية التي كانت سمة الكتابات في ذلك العصر ، وحرصاً على المحافظة على لغة ذلك العصر فقد أوردت النص الأصلي كما هو ، وهذه بعض الإشارات إلى تلك اللغة والطريقة التي كتبت بها المخطوطة :

١ - لجأ الناسخ إلى حذف الهمزة إذا جاءت في آخر الكلام مثل : الوزرا ، والأمرا ، والخلفا ، والأربعا ، والثلاثا ، ويثبتها إذا جاء بعدها إضافة مثل : الخلفاء الراشدين ، وأعداء الدين .

٢ - قلب الهمزة إلى ياء إذا جاءت في وسط الكلمة مثل : ملايكة ، وطاير السعد ، وأعدايهم .

٣ - حذف الهمزة إذا جاءت في وسط الكلام مثل : التاليف ، وبوس ، وشان .

٤ - قلب الألف الممدودة ألفاً عادية مثل الآثار فقد كتبها الأثار ، وكذلك أميناً بدلاً من آميناً .

٥ - وضع نقطتين تحت الألف المقصورة مثل : الكري بدلاً من الكرى ، والقي بدلاً من ألقى ، وكذلك القري .

٦ - أورد الناسخ بعض الكلمات التي تنتهي بتاء مربوطة ، إلا أنه كتبها من دون نقط لتقرأ هاءً مثل : السياده ، والسعاده .

٧ - وردت بعض الأخطاء الإملائية في المخطوطة ، وقد نقلت في الأصل كما هي وصححت في الهامش .

٨ - وضع المؤلف همزة السطر فوق الألف مثل جأهم(٢٣) ، وجأ(٢٤) .

(٢٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٤١ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

محتويات المخطوطة

سرد المؤلف الأحداث دون أي تقسيمات أو عناوين جانبية ، إلا أنه يمكن تقسيم المخطوطة إلى الأقسام التالية :

١ - المقدمة ، وتحدث فيها عن فضل الجهاد واستعدادات السلطان سليمان القانوني لهذه الحملة .

٢ - توضيح خط سير السلطان من استانبول إلى أن وصل إلى جزيرة رودس .

٣ - حصار الجزيرة ، والأحداث التي وقعت خلالها ، واستسلام فرسان القديس يوحنا .

٤ - دخول المدينة .

٥ - وصف حال القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية .

٦ - وصف مدينة وجزيرة رودس .

المقـــدمـــة :

بدأ الكاتب بحمد الله والثناء عليه ، وذكر بيان فضل الجهاد في سبيل الله ، وما أعده الله تبارك وتعالى للمجاهدين ، ووضّح الدور الكبير الذي يقوم به أولئك المجاهدون في سبيل رفعة الإسلام والمسلمين ونصرتهم . ثم ذكر بعضاً من أخبار السلطان سليمان الأول (القانوني) فقد أخبر بأنه في أوائل حكمه توجه إلى فتح مدينة بلغراد التي عجز عنها من سبقه من سلاطين بني عثمان ، وعاد بعد ذلك إلى عاصمة ملكه ، حيث أمر بإعداد العدة لمحاربة جزيرة رودس ، وانحصرت تلك الاستعدادات في التالي :

١ - أصدر السلطان أوامره لرجاله بضرورة متابعة أوضاع سكان جزيرة رودس لمعرفة الأماكن التي يتواجدون بها في البحر الإيجي ، وحجم الأسطول وأنواع السفن الموجودة عندهم(٢٥) .

٢ - متابعة إصلاح السفن وترميمها لتكون قادرة على القيام بهذه الحملة .

٣ - إعداد القوات الكافية لإنجاح هذه الحملة(٢٦) .

ثم تحدث المؤلف عن الأسباب التي دفعت السلطان إلى محاربة رودس وتلخصت في العوامل التالية :

١ - توفير الأمن الاستراتيجي للدولة العثمانية : مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي كان العثمانيون قد فرضوا سيطرتهم على معظم المناطق الواقعة شرق البحر المتوسط باستثناء هذه الجزيرة ، فكانت السيطرة عليها ضرورية لأمن الدولة العثمانية ، ولحماية أساطيلها البحرية وسفنها التجارية من هجمات فرسان القديس يوحنا ، وكان هؤلاء النصارى يأسرون المسلمين ويقتادونهم إلى هذه الجزيرة(٢٧) .

٢ - ظلت هذه الجزيرة الوكر الذي تلجأ إليه السفن المعادية للدولة العثمانية ، وكانت مركزاً حصيناً للمسيحية في شرق البحر المتوسط(٢٨) ، وكانت الجزيرة في غاية الحصانة والمتانة(٢٩) .

(٢٥) أرشيف متحف قصر طوب قابي TSMA, E 6349, E 6637 ، انظر الملحق ١ ، والملحق ٢ لترجمة الرسالتين .

(٢٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٥ .

(٢٧) مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٣ .

(٢٨) قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (بيروت ، ب . ت .) ص ٣١٠ .

(٢٩) مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٣ .

٣ - كان فرسان الجزيرة يكبلون أسرى المسلمين بالحديد ويجبرونهم على الأعمال الشاقة ، بعد أن يكونوا قد أخذوا أموالهم وأمتعتهم(٣٠) ، ويشددون عليهم في المأكل والملبس .

أراد السلطان سليمان الاستعجال في تنفيذ هذا الأمر لانشغال أوروبا آنذاك بمشكلاتها الداخلية ، حيث اندلعت الحرب بين ملك فرنسا فرنسوا الأول(٣١) وشارلكان(٣٢) ملك إسبانيا وألمانيا(٣٣) ، وانشغال بابا روما بالراهب الألماني مارتن لوثر(٣٤) مؤسس المذهب البروتستانتي ، والاضطرابات التي كانت تعانيها دولة المجر وصغر سن حاكمها لويس الثاني(٣٥) .

وتقول المصادر العثمانية إن السلطان سليمان أعد أسطولاً كبيراً لهذه الغاية

(٣٠) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٥ - ٦ .

(٣١) ولد الملك فرنسوا الأول عام ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م ، وتولى الحكم عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م ، وادعى بأن له حقوقاً على ولاية ميلانو بإيطاليا ، وانتهت حروبه بتفوق شارلكان عليه واستمر في الحكم حتى توفي عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م .

(٣٢) ولد شارلكان Charles V عام ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م ، دخل في حروب مع ملك فرنسا فرنسوا الأول كما حارب خير الدين بربروسا ، وسئم الحكم فتنازل عن العرش عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م ، وتنازل عن إسبانيا لابنه فيليب الثاني ، وعن ألمانيا لأخيه فرديناند ، وعاش في أحد الأديرة إلى أن توفي عام ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م .

(٣٣) Afif Büyüktuğrul, Osmanly Denis Harp Tarihi, s 222.

(٣٤) ولد مارتن لوثر عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م ، وكان كاثوليكي المذهب ألماني الأصل ، نادى بعدم مشروعية النظام الكنائسي والرهبنة على الإطلاق ، وحرم تجسيد القربان ، وحكم عليه البابا بالمروق من الدين ، ولم يبال بذلك واستمر في نشر مذهبه حتى آمن به الكثيرون من أمراء ألمانيا ، وتوفي عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م .

(٣٥) ولد لويس الثاني في مدينة بودابست عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م ، تولى الحكم عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م واستمر حاكماً إلى أن توفي عام ٩٢٣هـ/ ١٥٢٦م .

بلغ عدد قطعه حوالي سبعمائة سفينة(٣٦) ، بينما تقلل المصادر الأوروبية العدد إلى ٢٥٩ و٣٨٠ سفينة(٣٧) ، ورغم إجماع المصادر العثمانية على عدد السفن العثمانية الذي بلغ سبعمائة سفينة ، فإننا نعتقد بأن هذا الرقم مبالغ فيه وغير دقيق ، لاختلاف الروايات ، إذ من الاستحالة أن ترسل الدولة كل هذه السفن لمحاصرة جزيرة صغيرة في شرق البحر المتوسط(٣٨) . والدليل على ذلك ما

(٣٦) صولاق زاده تاريخي (استانبول ، ١٢٩٧) ص٤٤٠ ، وكاتب چلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٣ و Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 314 ويوضح مؤلف كتاب فتح رودس السفن العثمانية التي شاركت في الحملة فيقول إنها كانت ٥٠٠ قادرغه ، و٥٠ من نوع ماعونه ، و٥٠ پاشتارده ، و١٠٠ قالياته (انظر : مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٥) .

محمود السيد الدغيم ، «أضواء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني» ، ندوة الحضارة الإسلامية وعلم البحار ، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٧٩ - ٤٣٧) ص ٣٩٤ .

(٣٧) يقول أحد المصادر إن السلطان العثماني طلب تجهيز بعض السفن لحملة رودس وقد تكونت من التالي : ٨٥ قادرغه ، ٣٥ پاشتارده ، و٦٠ فوستا Fusta ، و٥٠ چيرازي ، و١٥٠ پلاندري Palandari ، ليصبح إجمالي العدد ٣٨٠ سفينة ، ويشير مصدر آخر إلى أن الأسطول العثماني تكون من : ٩٩ قادرغه ، و٧٠ قادرغه كبيرة ، و٤٠ پلاندري ، و٥٠ فوستا ، ليكون الإجمالي ٢٥٩ سفينة .

Şerafettin Turan, “Rodos’un Zaptindan” s. 58.

(٣٨) وإذا قارنا حجم أسطول سليمان باشا الخادم الذي خرج عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م لمحاربة البرتغاليين في الهند فقد كان قوامه ٧٣ سفينة ، وعن حجم أسطول بيري ريس الذي أرسل إلى الخليج العربي عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م فقد كان قوامه ٣٠ سفينة ، علماً بأن البرتغاليين كانوا سادة البحر في الشرق في منتصف القرن السادس عشر الميلادي وكانت الدولة تدرك تماماً قوتهم البحرية ، فيستحيل أن تخصص الدولة كل هذا العدد من السفن لمحاصرة جزيرة رودس ، أما المؤرخ المصري ابن إياس فيقول إن عدد قطع الأسطول العثماني بلغ خمسمائة مركب ، ونعتقد بأن هذا غير صحيح ، بدليل تضارب ذلك مع رأي له في موضع آخر حيث =

ذكره كاتب چلبي فهو يتفق مع غيره من المؤرخين العثمانيين على أن العدد بلغ سبعمائة ، إلا أنه يقول : « . . . منها ثلاثمائة سفينة حربية ، والبقية سفن نقل . . .»[٣٩] ، بمعنى أنه كانت هناك ثلاثمائة سفينة حربية ، والبقية استخدمت لنقل الجنود والمعدات ، وهي ليست سفناً حربية ، ولم تستخدم لأغراض عسكرية ، وربما كانت تجارية تم الاستعانة بها لنقل الجنود والمعدات ثم عادت لمزاولة نشاطها التجاري المعتاد . وعليه فإننا نعتقد بأن الأرقام المقدمة في المصادر الأوروبية والتي نقلها شرف الدين طوران أقرب إلى الصحة .

أما عن قوام الجيش العثماني فإذا نظرنا إلى حجم السفن المشاركة في الحملة فهذا يدل على أن قوام الجيش لا بد أن يكون كبيراً ، وإلا لما كانت هناك حاجة إلى كل تلك الأعداد من السفن ، ويمدنا صاحب كتاب رودس تاريخي بعدد الجيش العثماني المشارك في الحملة فيقول إن قوامه بلغ ٢٠٠,٠٠٠ جندي ، منهم ٦٠٠٠٠ عزب ، و١٤٠٠٠٠ إنكشاري (يكچيري)[٤٠] . وأسند السلطان سليمان قيادة الأسطول إلى القبودان بيلاق

= قال إنها ستمائة مركب . (محمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، جـ ٥ (القاهرة ، ١٩٨٤) ص ٤٤٩ ، ص ٤٦٣) . وخصوصاً إذا علمنا بأن جزيرة رودس لم تكن تمتلك أسطولاً كبيراً فقد كان أسطولها لا يزيد عدد قطعه على إحدى عشرة سفينة مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي .

Palmira Brummett, "Rhodes and Ottoman Naval Power" p. 520.

(٣٩) كاتب چلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٣ .

(٤٠) مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، ويقول صاحب كتاب فتح رودس إن السلطان أصدر أوامره بتجهيز ٤٠٠٠ مجدّف (كوركچي) و٥٠٠٠ عزب . مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٥ .

مصطفى باشا[٤١] Pulak Mustafa Pasha ، ويساعده في ذلك البحار مصلح الدين كرد أوغلي[٤٢] ، كما عين الوزير الثاني چوبان مصطفى باشا[٤٣] Coban Mustafa Pasha سردار (قائداً عاماً) للجيوش العثمانية[٤٤] ، كما شارك الصدر الأعظم بيري باشا في هذه الحملة[٤٥] .

ثم أمر السلطان وزيره فرهاد باشا بالتوجه إلى بلاد الأناضول لحفظها من أي حركة عصيان قد تظهر ضده ، وتوجه الوزير المذكور إلى إمارة ذي الغادر وقتل أميرها علي بن شاه شوار ، لاتهامه بموالاته الأعداء ، واقترافه مظالم كثيرة أثناء مشاركته الوزير فرهاد باشا في القضاء على تمرد جان بردي الغزالي الذي

---

(٤١) وهو بوسنوي الأصل ، عُين أميراً على جزيرة رودس بعد فتحها ، وفي عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م عين قبودانا على البحر ، ثم نال الوزارة ، وفي عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣٢م عُين بكلر بك (أمير أمراء) على بلاد الشام ، وعُزل في العام نفسه ، واختار مصر مكاناً للتقاعد ، ثم ذهب إلى استانبول عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م وتوفي في تربة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري باستانبول . محمد ثريا ، سجل عثماني ، جـ ٤ (استانبول ، ١٣١٥) ص ٣٧٢ .

(٤٢) وهو بحار أو ريس مشهور ، وهو ممن انضموا لخدمة الدولة العثمانية . فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ (استانبول ، ١٢٧٤) ص ٥٣٠ ، فتح رودس ، ص ٦ .

Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No 3170/3, Dr. Yasar Yücel and Dr. Ali Sevim, Türkiye Tarihi, C. II, (Ankara, 1990) p. 262.

(٤٣) وهو بوسنوي الأصل ، ويُنسب للوزير پيري باشا ، شغل منصب بكلر بك (أمير أمراء) الروميلي ، ونال منصب الوزير الثالث ثم الثاني ، ثم صاهر السلطان سليم لذا يُعرف باسم داماد (صهر أو نسيب) مصطفى باشا . محمد ثريا ، سجل عثماني ، جـ ٤ ، ص ٣٧٢ .

(٤٤) كاتب چلبي ، تحفة الكبار في عجائب البحار ، ص ٢٣ ، لطفي باشا ، تواريخ آل عثمان (استانبول ، ١٣٤١) ص ٣٠٩ .

Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 313.

(٤٥) مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٢٣ ، فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٣٥١ . ولم يذكر العباسي أي شيء عنه في المخطوطة .

ظهر في بلاد الشام عام ١٥٢١م(٤٦) . ثم خرج مصطفى پاشا قائد الأسطول العثماني متوجهاً إلى الجزيرة .

خط سير السلطان(٤٧) :

في يوم الأحد ٢٠ رجب ٩٢٨هـ/ ١٥ يونيو ١٥٢٢م(٤٨) أصدر السلطان أوامره بالخروج إلى مدينة اسكودار على الطرف الآسيوي من استانبول ، ولحق بهم السلطان في اليوم التالي ، ومكث السلطان هناك لغاية يوم الأربعاء ٢٣ رجب/ ١٨ يونيو حين خرج متوجهاً إلى مدينة كوتاهية التي وصلها يوم الأربعاء ٨ شعبان/ ٢ يوليو ، ومكث فيها يومين ، وخلال هذه المدة وفد قاسم بك بكلر بك (أمير أمراء) الأناضول برفقة سائر أمراء وعساكر الولاية ، وعلى رأسهم بالي آغا الانكشارية ، وعلي بك آغا العرب وبرفقته عدد كبير من العرب(٤٩) وفي يوم ٩ شعبان/ ٣ يوليو قدم إياس باشا بكلر بك الروميلي بصحبة عساكره(٥٠) ، ثم رحل عنها يوم الجمعة ١٠ شعبان/ ٤ يوليو ، ووصل ظهر ذلك اليوم إلى قرية فكارباشي ، ورحل عنها يوم السبت ١١ شعبان ووصل إلى مكان يعرف باسم اكجه بغازي في وقت الضحى ، وفي يوم الأحد ١٢ شعبان/ ٦ يوليو غادرها متوجهاً إلى ما عرف باسم صيشان أوسي ووصل إليها في وقت الضحى

(٤٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٧ ، لطفي باشا ، تواريخ آل عثمان ، ص ٣٠٧ هامش ٢ .

(٤٧) تم التحقق من أسماء الأماكن وتحديد مواقعها في النص الأصلي للمخطوطة ، ولتتبع هذه المناطق راجع الفصل الثالث .

(٤٨) يتفق المؤرخ إبراهيم پچوي مع يوم الخروج . انظر : إبراهيم پچوي ، پچوي تاريخي (استانبول ، ١٩٨٠) ص ٧١ ، كاتب جلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٤ .

(٤٩) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ (استانبول ، ١٢٧٤) ص ٥٢٩ .

(٥٠) إبراهيم پچوي ، پچوي تاريخي ، ص ٧٢ ، فتح رودس ، ص ١٢ .

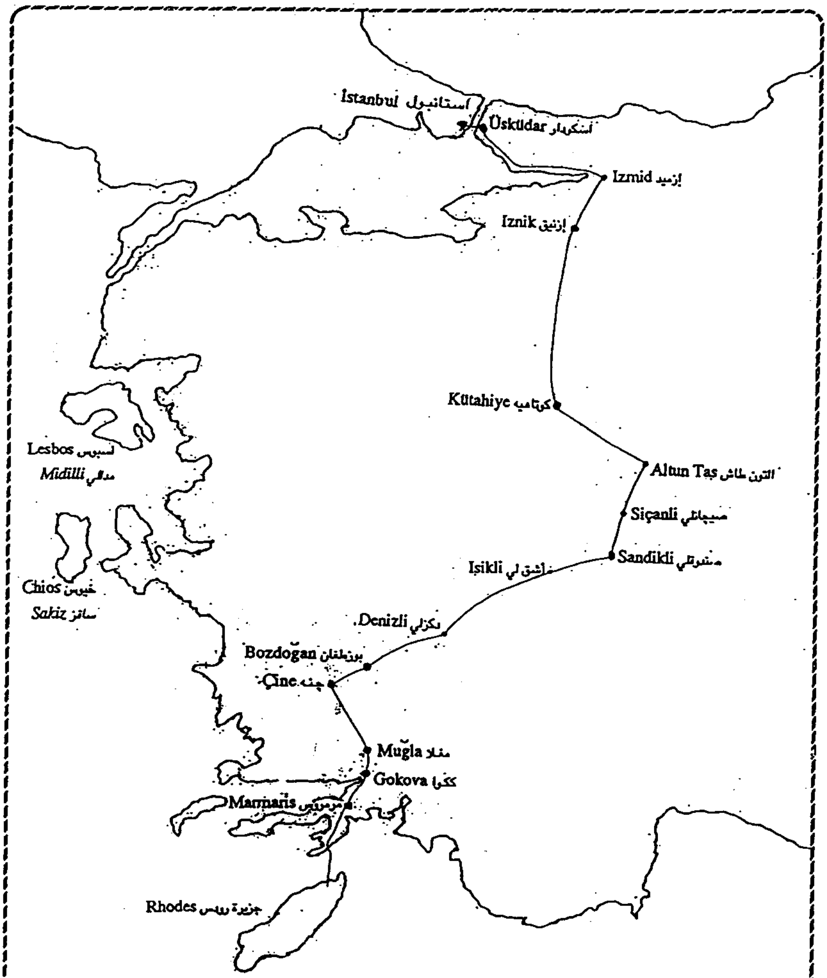
Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3.

جلال زاده مصطفى چلبي ، طبقات الممالك ودرجات المسالك ، مكتبة قصر طوب قابي ، ص ٥٩

Topkapi Sarayi Müzesi No. E. H. 1427.

الضحى أيضاً وفي يوم الاثنين ١٣ شعبان تركها ذاهبا إلى مكان يعرف باسم صندوق لي أوسي ، وقد وصل إليه وقت الضحى ، ورحل عنه يوم الثلاثاء ١٤ شعبان/ ٨ يوليو فبلغ أشق لي في وقت الضحى ، وفي يوم الأربعاء ١٤ شعبان غادرها السلطان متوجهاً إلى قوق بازاري وهنا وصل رسول السردار مصطفى باشا لإخبار السلطان برفض سكان الجزيرة تسليمها لهم(٥١) ، ورحل عنها يوم الخميس ١٦ شعبان/ ١٠ يوليو ذاهبا إلى دنغوزلي ، ومكث فيها حتى يوم السبت ١٨ شعبان/ ١٢ يوليو حيث تركها ووصل إلى قرية تسمى تاتدكلي في وقت الضحوة الكبرى يوم الأحد ١٩ شعبان ، وغادرها السلطان يوم الاثنين ٢٠ شعبان / ١٤ يوليو ونزل ضحىً في منزل يسمى آيدين لي ، وتركه يوم الثلاثاء الموافق ٢١ شعبان ، ونزل وقت الضحى بمدينة پنكي شهر ، ورحل عنها يوم الأربعاء ٢٢ شعبان/ ١٦ يوليو ثم وصل إلى مكان بالقرب من ذلك الموضع ، ورحل عنه يوم الخميس ٢٣ ووصل إلى مكان يُعرف باسم درچك ورحل عنه يوم الجمعة ٢٤ شعبان/ ١٨ يوليو ، ووصل إلى مكان يعرف باسم مرزا اغلي چابري ، وتركه يوم السبت متوجهاً إلى شناي ، وفي يوم الأحد ٢٦ شعبان/ ٢٠ يوليو توجه منها إلى ألجا حصار ، ومكث فيها يوماً ثم غادرها يوم الاثنين ووصل إلى منتشا بُغازي ، وتركها يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان/ ٢٢ يوليو ليصل إلى فكار باشي ، التي رحل عنها ليصل إلى قرا باغ يوم الأربعاء ٢٩ شعبان ، ووصل يوم الخميس ٣٠ شعبان/ ٢٤ يوليو إلى بازاركوي ، ووصل في ١ رمضان إلى مكان يسمى ككوا ، ووصل يوم السبت ٢ رمضان ٩٢٨هـ/ ٢٦ يوليو ١٥٢٢م إلى مرمروس بالقرب من الساحل ، وجاءت المراكب العثمانية إلى ذلك الموضع لعبور البحر للوصول إلى جزيرة رودس ، وفي يوم الاثنين ٤ رمضان/ ٢٨ يوليو ركب السلطان البحر ، وسارت خلفه مراكب الوزراء والأمراء والقضاة ، ووصل جزيرة رودس آخر ذلك النهار ، ونزل السلطان سليمان أرض الجزيرة .

(٥١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .



خط سير السلطان سليمان القانوني

شكل (٢)

حصار الجزيرة :

أعد النجارون للسلطان مكاناً مناسباً له من الخشب يشرف على قلعة الجزيرة ، وفي يوم ٥ رمضان ٩٢٨هـ/ ٢٩ يوليو ١٥٢٢م بدأ حصار السلطان للجزيرة(٥٢) حيث انتشرت العساكر العثمانية تحيط بالجزيرة ، وكانت الأساطيل العثمانية قد وصلت للجزيرة قبل قدوم السلطان ، واصطف قسم من السفن العثمانية على جوانب الجزيرة بكامل عدته وأدوات الحصار ، وراح القسم الثاني منها يجوب السواحل المحيطة بالجزيرة لمنع فرسان القديس يوحنا من الهرب ، ولقطع الجزيرة وفصلها عما يحيط بها حتى لا تطلب المدد من الأمم الغربية ، ولمنع وصول الإمدادات إلى المحاصرين(٥٣) .

وقام أهالي الجزيرة بإغلاق ميناء الجزيرة بوضع سلسلة حديدية على مدخل الميناء لمنع دخول السفن العثمانية ، وقد ثُبت طرفه الأول بأسوار برج قلعة القديس نيكولاس St. Nicholas ، وطرفه الآخر بأسوار قلعة الطواحين الهوائية Windmills(٥٤) . كما قاموا بتخزين المواد الغذائية استعداداً لحصار طويل ، واستأجروا بعض الجنود المرتزقة من الجزر المجاورة ولا سيما من جزيرة كريت(٥٥) . كما استنجد الأهالي بملوك أوروبا لنجدتهم من العثمانيين ، فقد أرسلوا الرسل إلى كل من : شارلكان ، وفرنسوا الأول ، والبابا أدريانوس السادس Adrianus VI(٥٦) .

---

(٥٢) كاتب جلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٤ .

(٥٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٢ .

(٥٤) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ٣١٠ .

(٥٥) Şerafettin Turan, “Rodos’un Zaptindan” s 59.

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٦٢ — Ibid, p. 62.

أما الجيوش البرية فقد أخذ كل وزير من الوزراء مكاناً وجنوداً لحصار قلعة رودس ، وتم تقسيم الجيش على النحو التالي : وضع الصدر الأعظم پير محمد پاشا مقابل بوابة قزيل قبو Kizil Kapi وبجانبه السردار مصطفى پاشا ، وعلى يساره قاسم پاشا مع جيش الأناضول ، وعلى يساره الوزير أحمد پاشا ، وعلى يساره إياس پاشا مع قوات الروميلي(٥٧) ، وصوّب أولئك المدافع والمكاحل ، وقبل ابتداء الحرب أرسل مصطفى پاشا أحد رجاله ليعرض على فرسان رودس تسليم الجزيرة قبل الحرب ، ولما تيقن من عدم رغبة أولئك في التسليم طواعية(٥٨) ، وقد استغرق نزول القوات العثمانية على شواطئ الجزيرة وأخذ مواقعهم للقتال قرابة شهر(٥٩) وباشرت المدافع العثمانية دك أسوار قلعة مدينة رودس(٦٠) ، وكانت أسوار القلعة حصينة جداً لدرجة أنها بلغت سبع خطوات مع مدّ الرجل إلى نهايتها(٦١) ، ويحيط بالأسوار خندق من الخارج زيادة في القوة والمنَعة(٦٢) .

وكان المدافعون يرمون كل من يقترب من الأسوار ، لذا كانت الخطة تهدف إلى حفر عدة طرق باتجاه الخندق ، ثم حمل التراب المحفور إلى الخندق ، ليكون التراب مانعاً من وصول الرمي للعثمانيين ، إلى أن يصل العثمانيون للخندق ، ثم يلقى التراب فيه ليصلوا إلى الأسوار ، وعندها يقومون

(٥٧) رودس فتح نامه سي ، ص ١٨ . Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628.

(٥٨) لطفي باشا ، تواريخ آل عثمان ، ص ٣٠٦ هامش : ٢ .

(٥٩) The New Cambridge Modern History, Edited by G. R. Elton, Vol. II (Cambridge, 1958) p. 511.

(٦٠) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٣ ، رودس فتح نامه سي ، ص ١٨ . Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628.

(٦١) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٣ .

(٦٢) النهروالي ، الإعلام ، ص ٣١١ .

بنقبها ليتمكنوا من دخول القلعة(٦٣) ، وشرع العثمانيون بذلك ، وكان أشدهم همة الوزير أحمد باشا . وفي الوقت نفسه كانت المدافع العثمانية ترمي الأسوار لتحطمها ، وكان أهالي الجزيرة يردّون على العثمانيين ويصيبون منهم أعداداً كبيرة ، وتركت تلك المدافع آثارها الواضحة على الأسوار ، إضافة إلى ذلك كان للمدافع ضجيج كبير عند سقوط القذائف على أسوار المدينة ، فكانت تأخذ إضافة إلى أجزاء من أسوار القلعة قلوب المدافعين عنها أيضاً .

ولما اشتدت هجمات العثمانيين على القلعة استغل أهلها أسرى المسلمين للقيام بالأعمال الشاقة ، وجعلوا منهم دروعاً بشرية تتلقى القذائف العثمانية ، فاستشهد من جراء ذلك خلق كبير من أسرى المسلمين الموجودين في القلعة ، هذا إضافة إلى الأعداد الكبيرة من الذين قتلهم فرسان القديس يوحنا عند قدوم السفن العثمانية لمحاصرة الجزيرة ، وذلك خوفاً من أن ينضم أولئك للعثمانيين ويساعدوهم على السيطرة على الجزيرة(٦٤) .

وكان الجنود العثمانيون مستمرين بحفر الأرض إلى أن وصلوا إلى الخندق ، فألقوا فيه التراب وكثيراً من الأخشاب والحجارة(٦٥) ، إلى أن تمكنوا من الوصول إلى السور المحيط بالقلعة ، وشرعوا بنقبه ، ليدخلوا القلعة . وهنا وصلت إمدادات من خاير بك والي القاهرة(٦٦) ، وكانت عبارة عن ثلاثين

(٦٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٣ ، النهروالي ، الإعلام ، ص ٣١١ ، إبراهيم بجوي ، بجوي تاريخي ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

(٦٤) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٦ .

(٦٥) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣١ .

(٦٦) كان السلطان سليمان أرسل في أواخر رجب ٩٢٨هـ/ أواخر يونيو ١٥٢٢م رسولاً إلى خاير بك يطلب إليه أن يرسل إليه عدداً من العساكر الجركسية الموجودين عنده في الولاية ، فاختار خاير بك ٤٣ أميراً مملوكياً ليرسلهم للسلطان ، واختار منهم حوالي خمسمائة وقيل ثمانمائة =

مركباً[٦٧] مشحونة بالمعدات وآلات الحرب والصنّاع وعدد كبير من المقاتلين الچراكسة ، ومؤونة ومواد غذائية[٦٨] . وأضاف كاتب چلبي إن السفن كانت محملة بالبارود والحبوب[٦٩] ، بينما يفصّل المؤرخ المعاصر ابن إياس في نوعية المواد الغذائية فقال إنها عبارة عن بقسماط وجبن حلوم وبصل وعسل ، كما أرسل خاير بك مبلغاً قدره أربعون ألف دينار للإنفاق على العساكر الذين أرسلهم[٧٠] .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٣ ذي القعدة ٩٢٨هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٥٢٢م صدرت الأوامر السلطانية بالهجوم على القلعة ، وفي يوم الأربعاء ٤ ذي القعدة أُخبر العساكر العثمانيون بمضمون الأوامر السلطانية ، وأبيحت لهم أموال سكان

= مملوك جركسي ، والبقية من السباهية والإنكشارية والكولية وبلغ عددهم الإجمالي ألفاً وخمسمائة شخص ، وجعل الأمير قايتباي الدوادار قائداً على الأمراء والمماليك الجراكسة ، وجعل جانم الحمزاوي قائداً على الآخرين ، كما خرج برفقتهم الريس حامد قبطانا على السفن ، وكان خروج هؤلاء من القاهرة يوم الاثنين ٦ شعبان ٩٢٨هـ/ ١ يوليو ١٥٢٢م ، وتوجهوا إلى بولاق ومنها إلى جزيرة رودس . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤ ، ص ٤٦٦ .

(٦٧) ويقول كاتب جلبي إن عدد السفن بلغ أربعاً وعشرين سفينة . (كاتب جلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٤) ويؤكد فريدون بك أن العدد بلغ ٢٤ سفينة (فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣١ ، مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٤٨) أما ابن إياس فلم يذكر عدد السفن واكتفى بالقول «فجهز ذلك في المراكب» . انظر : ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٤ .

(٦٨) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٧ . أما صاحب كتاب فتح رودس فيقول إن عدد السفن التي أرسلها خاير بك بلغ ٢٤ سفينة من نوع پاشتارده . مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٢٦ .

(٦٩) كاتب جلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٤ .

(٧٠) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٤ .

الجزيرة ، وأخذ كل منهم يعد العدة للقاء فرسان القديس يوحنا ، واشتدت المدافع على أهل الجزيرة ، واقترب العثمانيون من السور ، فأوقد المدافعون نيراناً على حافة السور ، وألقوا قدور القطران والزفت بكثرة على العثمانيين ، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة ، ولكن لم يستطع أي منهم الانتصار على الآخر ، فاجتمع السلطان برجاله يوم الجمعة ٦ ذي القعدة للتشاور في الأمر[٧١] .

وفي يوم الأحد ٨ ذي القعدة/ ٢٩ سبتمبر هرب شخص من الجزيرة إلى العثمانيين ، فنُقل إلى الديوان الذي يجتمع فيه السلطان مع أركان دولته ، وقال إن أهالي الجزيرة في خوف شديد ، وأخبر أن معدات الحرب متوافرة لديهم ، إلا أن المواد الغذائية بدأت تنفد[٧٢] ، وأنه قُتل أعداد كبيرة منهم ، ولو جالد العثمانيون قليلاً وصبروا لتمكنوا من امتلاك القلعة ، وأن أهالي الجزيرة جمعوا أولادهم ونساءهم وأمتعتهم واستعدوا للهرب من الجزيرة إذا ما استولى العثمانيون عليها . فأنعم السلطان عليه ، وأُلبس قفطاناً[٧٣] .

وهنا اجتهد الوزراء بمحاصرة الجزيرة ومحاربتها للسيطرة عليها بأسرع ما يمكن ، وأمر الوزير أحمد باشا رجاله بنقب جدار السور ، ونقبوا نقباً كبيراً ،

(٧١) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٧٢) لم يكن أهالي رودس وحدهم يعانون نقص المواد الغذائية ، وإنما عانى العثمانيون أيضاً ذلك ، فقد وصل رسول إلى خاير بك يوم الاثنين ٢٤ شوال ٩٢٨هـ/ ١٨ أغسطس ١٥٢٢م ، وأخبره بندرة المواد الغذائية عند العثمانيين فجمع خاير بك ثلاثين ألف أردب من القمح ، وقدَّم عشرة آلاف أردب إلى الطواحين لتطحنها دقيقاً ، ولما فرغ منها ، وضع في المراكب ثلاثين ألف أردب قمح ، وخمسمائة حمل دقيق ، وخمسمائة أردب أرز ، ومثلها حمص وبسلة ، وغيرها أشياء كثيرة ، وأرسلها بأقصى سرعة إلى السلطان وبقية الجنود العثمانيين . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٧٧ .

(٧٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٩ .

ووضعوا فيه خشباً كثيراً ، وأوقدوا فيه النار ، ثم أمر بضربه بأكبر مدافعهم ، فجاءت الطلقة في مكان النقب ، وخلّفت تراباً كثيراً ، فشرع الجنود العثمانيون في إزالته ونقله ، ليتمكنوا من دخول القلعة .

وبينما كان العثمانيون يجتهدون في إسقاط القلعة ، جاءت الأخبار من القاهرة في يوم الأربعاء ٢ ذي الحجة ٩٢٨هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٥٢٢م معلنة وفاة واليها خاير بك(٧٤) ، فأحضروا سيفه ، واجتمع الديوان يوم الخميس ثالث ذي الحجة ، ولم يتوصلوا لقرار نهائي حول نيابة مصر ، واستكمل الديوان جلسته يوم الجمعة ٤ ذي الحجة وعُين الوزير چوبان مصطفى پاشا والياً على مصر مع احتفاظه بالوزارة(٧٥) ، وفي يوم الاثنين ٧ ذي الحجة سافر مصطفى پاشا متوجهاً للقاهرة ، وعاد معه معظم من جاء من مصر من أصحاب الحرف والصنّاع ممن أرسلهم خاير بك(٧٦) .

---

(٧٤) مرض خاير بك يوم الاثنين ٨ ذي القعدة ٩٢٨هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٥٢٢م ولزم الفراش ، ثم اشتد عليه المرض فطلب سنان بك ودفع إليه بخاتم الملك الذي أعطاه إياه السلطان سليم ، وأخبره عن الأموال التي في خزينة مصر ، وطلب أن يكون نائباً على القاهرة من بعده وأوصاه على عياله وجماعته ، وفارق الحياة يوم الأحد ١٤ ذي القعدة/ ٥ أكتوبر ، ودفن في المدرسة التي أنشأها بالقاهرة . ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ .

(٧٥) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٠ ، لطفي باشا ، تواريخ آل عثمان ، ص ٣١٢ ، جلال زاده چلبي ، طبقات الممالك ، ص ٧٦ ، فتح رودس ، ص ٣٢ .

Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3.

(٧٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٢ . وكان سنان بك يحكم مصر بعد وفاة خاير بك حتى يتم تعيين آخر مكانه ، ووصل الخبر إلى سنان بك بأن السلطان عهد بولاية مصر للوزير مصطفى باشا ، ووصل مصطفى إلى الإسكندرية يوم الخميس ١٧ ذي الحجة ٩٢٨هـ/ ٧ نوفمبر ١٥٢٢م ، وفي يوم الأربعاء ٢٣ ذي الحجة/ ١٣ نوفمبر وصل مصطفى باشا إلى بولاق ، فخرج سنان بك والعساكر لاستقباله ووصفه ابن إياس بقوله : «وكانت صفته أنه أبيض اللون عربي الوجه ، حليق اللحية ليس له غير شاربين صُفر ، معتدل القامة ، وعليه حشمة ووقار . . .» ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

ولم يتحدث العباسي عن المنصب الشاغر ولمن أسند بعد مصطفى باشا ، وهنا لم يكن السلطان ليدع القوات العثمانية المحاصرة لجزيرة رودس من دون قيادة بعد سفر مصطفى باشا الذي كان سردارا (قائداً عاماً) للحملة ، فقلد السلطان قيادة الجيوش للوزير الثالث أحمد باشا(٧٧) .

وفي يوم الثلاثاء ٨ ذي الحجة ٩٢٨هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٥٢٢م هرب بعض أسرى المسلمين الموجودين في الجزيرة ، وكشفوا للعثمانيين حالة الضيق التي يعانيها سكان الجزيرة . وفي الوقت ذاته بدأت تظهر آثار المدافع العثمانية في الأسوار ، فقد تمكنت من تحطيم أجزاء منها ، وأخذت جدران البيوت تظهر للعثمانيين ، وكلما تقدّم العثمانيون تقهقر فرسان الجزيرة ، ومع ذلك كانوا يظهرون القوة والمنعة والجلد في المقاومة(٧٨) .

وفي يوم السبت ١٠ محرم ٩٢٩هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٥٢٢م أصدر السلطان أوامره بالزحف على المدينة ، فتقدّمت الجيوش العثمانية وتراجع المدافعون واستتروا بجدران البيوت ، وقاتلوا قتالاً عنيفاً بالبنادق لعدة أيام ، وتراجع العثمانيون على أثر ذلك(٧٩) .

وفي يوم الأربعاء ٢١ محرم/ ١٠ ديسمبر خرج من القلعة أحد الفرسان متوجهاً إلى العثمانيين ، فوضع كتاباً بين أيدي العثمانيين فيه طلب الأمان والاستسلام ، ففرح العثمانيون بهذا الخبر ، وفي يوم الخميس ٢٢ محرم اجتمع الديوان ، فوافق على قبول طلب فرسان القديس يوحنا ، فحضر اثنان منهم من

(٧٧) Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 70 & Dr. Yasar Yücel and Dr. Ali Sevim Türkiye Tarihi, C. II, p. 263.

(٧٨) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٢ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

القلعة واجتمعا بقادة الديوان ، وقدَّم لهما شروط العثمانيين للاستسلام(٨٠) ، ثم ألبسا قفطانين ، وسُمح لأحدهما بالعودة للجزيرة ، بينما احتفظوا بالآخر ، واستمر الفرسان يتداولون الأمر فيما بينهم لمدة يومين دون أن يزودوا العثمانيين بأية ردود على شروطهم(٨١) .

وفي يوم السبت ٢٤ محرم/ ١٣ ديسمبر صدرت أوامر عليا للمدفعية باستئناف الضرب حتى يرضخ الفرسان للاستسلام ، فرجع أهالي القلعة للتفاوض مع العثمانيين ، وطلبوا إليهم أن يعطوهم مهلة عشرة أيام لتباحث الأمر مع فرسانهم(٨٢) ، واتضح أنهم كانوا يسوّفون الأمر لعل نجدة تأتيهم أو إمدادات تصلهم من أي مكان(٨٣) ، وأخذ أهالي الجزيرة يتطلعون إلى أوروبا لنجدتهم ، ولكن أوروبا كانت مشغولة بنفسها(٨٤) .

---

(٨٠) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٧ . والرسولان هما : فرا أنطونيو جروليو Fra Antonio Groleo ، وروبرتو بيرسيو
Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 64. Roberto Perusio

(٨١) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٤ .

(٨٢) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ .

(٨٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٤ ، مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٥٢ ، فتح رودس ، ص ٣٤ . Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3.

(٨٤) وهذا يدل على حسن اختيار السلطان سليمان للوقت المناسب لحصار الجزيرة ، وقد كانت هناك محاولات من بعض تلك الدول لنجدة رودس مثل نابولي Napoli ولكن مثل تلك المساعي كانت متأخرة جداً . انظر :
Afif Büyüktuğrul, Osmanly Deniz Harp Tarihi, S 223.
ويقول شرف الدين توران إن هناك سفينة من البندقية وصلت إلى المُحاصَرين وقد تمكنت من الفرار من العثمانيين ودخول ميناء الجزيرة ، وأحضرت معها مائة مقاتل ، وشراباً ومواد غذائية مختلفة ، وأخبرتهم أن هناك معونة أوروبية قادمة .
Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 65 - 66.

ولما علم العثمانيون بنية أهالي القلعة ، صدرت الأوامر بإعادة الحصار وبمواصلة قصف القلعة ، وكان ذلك يوم الأحد ٢٥ محرم ، واستمر القصف بين الطرفين ، وأثناء ذلك كان يخرج بعض الفرسان من القلعة بالأمان ، ويتفاوضون مع الوزراء بخصوص التسليم ، ويعودون إلى القلعة لتداول الأمر ، واستمر الحال على ذلك حتى يوم الخميس آخر شهر محرم وهنا اشترطوا عدة أمور لتسليم القلعة هي :

١ - ألا يطلب إلى كبيرهم السيد العظيم فيللر ليل ادام Villiers de l'Isle Adam[٨٥] (والذي عُرف في المصادر العثمانية باسم مغال مستوري) بالتوجه إلى الديوان لتقبيل يد السلطان ، وأن يسمح له بمغادرة الجزيرة بحرية .

٢ - ألا يدخل أحد من العثمانيين الحصن ما داموا فيه .

٣ - أن يقوموا بتصليح مراكبهم ليخرجوا بها مع أموالهم وعيالهم[٨٦] .

وهناك شروط أخرى لم يذكرها العباسي هي :

٤ - أن يُمنحوا مدة اثني عشر يوماً لتسليم الجزيرة .

٥ - أن تبتعد الجيوش العثمانية مسافة ميل عن المدينة المحاصرة وذلك من كل الجهات لضمان عدم تعرّض العثمانيين للمغادرين[٨٧] .

---

(٨٥) وهو فرنسي الأصل واسمه فيليب ولد عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م ، ومات عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م .
محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٦ هامش ١ .

Dr. Yasar Yücel and Dr. Ali Sevim, Türkiye Tarihi, C. II, p. 262 & Norman Housley, The Later Crusades, p. 230.

مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٥٥ .

(٨٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٥ ، والنهروالي ، الإعلام ، ص ٣١١ .

(٨٧) محمد فريدبك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٦ .

٦ - إطلاق سراح أسرى المسلمين[٨٨] .
٧ - أن يُعفى سكان الجزيرة من نظام الدوشرمه Devsirme[٨٩] .
٨ - أن تُمنح الحرية الدينية لمن أراد البقاء بالجزيرة من سكانها الأصليين[٩٠] .
٩ - ألا تجمع الدولة العثمانية الضرائب من سكان الجزيرة لمدة خمسة أعوام[٩١] .
١٠- السماح لمن أراد الهجرة من سكان الجزيرة بالخروج بحرية تامة[٩٢] .

وفي يوم الجمعة ١ صفر ٩٢٩هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٥٢٢م اجتمع الديوان وحضر الاجتماع جماعة من سكان القلعة للتفاوض مع العثمانيين ، واتفق الطرفان على وقف القتال ، حيث وافق الفرسان على الاستسلام ، ولما انفض الاجتماع ، أُلبس اثنان منهم قفطانين ، ووضعت الحرب أوزارها ، وشرع فرسان القديس يوحنا بالتأهب لمغادرة الجزيرة[٩٣] .

(٨٨) فتح رودس ، ص ٣٥ ، Nur-i Osmaniye Kütüphanesi No 3170/3 ، رودس فتح نامه سي ، ص ٣٥ ، Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628 ، جلال زاده چلبي ، طبقات الممالك ، ص٧٩ .

(٨٩) Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 67 . والدوشرمه : عبارة عن الجمع الموسمي لأبناء المسيحيين لنظام التجنيد الإلزامي الذي فرضته الدولة العثمانية على الرعايا غير المسلمين داخل حدود دولتها ، وهذه كانت هي نواة جيش الإنكشارية ، حيث كان الأغلبية من هؤلاء ينخرطون للعمل كمشاة في الجيش العثماني . لمزيد من المعلومات انظر :

V. L. Menage, "Devshime", El 2, Vol. II, p. 210 - 213.

(٩٠) مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٥٥ .

(٩١) مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ص ١٥٥ .

Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 315. & Afif Büyüktuğrul, Osmanly Deniz Harp Tarihi, s 224.

(٩٢) فتح رودس ، ص ٣٥ . Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3 ، رودس فتح نامه سي ، ص ٣٥ ، Istanbul Üniversite Kütüphanesi No 2628 وجلال زاده چلبي ، طبقات الممالك ، ص ٧٩ .

(٩٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٥ .

ولعلَّ من العوامل التي دفعت السلطان سليمان لقبول شروط التسليم هو طول المدة التي حاصر فيها العثمانيون الجزيرة ، فقد استمر الحصار سبعة شهور ، وأراد السلطان الاستعجال في أمر التسليم حتى لا تضعف الروح القتالية والمعنوية عند جنوده بسبب طول المدة ، لا سيما أن الظروف الجوية كانت لا تساعد على البقاء لفترة أطول في الجزيرة ، ويصف لنا مؤرخنا العباسي الأحوال الجوية وكمية الأمطار التي كانت تسقط يومياً ، كما أن الاتفاق تمَّ في شهر ديسمبر ، والمعروف أن فصل الشتاء تتساقط فيه الثلوج ، لذا كان لا بد من الانتهاء من جزيرة رودس قبل تساقط الثلوج ، وإلا كان العثمانيون سيجبرون على رفع الحصار ، وإعادة الكرّة في الأعوام القادمة .

وفي يوم الاثنين ٤ صفر/ ٢٣ ديسمبر صدرت أوامر سلطانية بإطلاق سراح أسرى المسلمين ممن أسرهم فرسان القديس يوحنا وسجنوهم في قلعة رودس ، فأُخرج الأسرى ، وأُحسن إليهم ، وكانوا أعداداً كبيرة من رجال ونساء ، وقد بلغ عدد هؤلاء الأسرى قرابة ثلاثة آلاف أسير[٩٤] ، وأخذ العثمانيون يبكون لحال أسرى المسلمين ، وأغدقوا عليهم خيراً كثيراً ، وظل بعضهم مأسوراً لفترة اثني عشر عاماً ، وهناك من له أكثر أو أقل من ذلك ، وعند خروجهم كانت أبدانهم هزيلة ، ولونهم أصفر ، وفيهم من لم يقدر على المشي نتيجة لتورم قدميه من القيود ، وقد أخبر هؤلاء الأسرى العثمانيين بقصص تقشعر منها الأبدان لما عانوه من ذل ومهانة طوال فترة أسرهم[٩٥] .

(٩٤) رودس فتح نامه سي ، ص ٣٥ ، Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628

Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 316.

(٩٥) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٣٩ - ٤٠ .

دخـــول القلعـــة :

طلب السلطان وضع العلم (السَّنْجق) العثماني على سور القلعة ، ودخل الجنود العثمانيون ، فوضع العلم باحتفال كبير على أصوات الطبول والأبواق ، والعثمانيون في فرح شديد لهذا النصر ، وفرسان القديس يوحنا في ألم وحسرة ، فنصب العلم بأعلى الحصن ، ثم علا صوت المؤذن لصلاة الظهر(٩٦) .

وصدرت الأوامر للجنود العثمانيين بأخذ أسلحة الكفار ، وتوجه الجنود لسكنى البيوت(٩٧) .

وفي يوم الجمعة ٨ صفر ٩٢٩هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٥٢٢م توجه قائد فرسان القديس يوحنا إلى الديوان ، وقدّم الهدايا التي معه للسلطان ، وألبسه السلطان قفطانا يليق بمكانته ، ورجع بعدها لمقر إقامته(٩٨) .

وفي يوم الاثنين ١١ صفر/ ٣٠ ديسمبر دخل السلطان سليمان مدينة رودس ، ودُقت البشائر لقدومه ، وجاءت بعده جموع الجيوش العثمانية لدخول المدينة . واختلفت الروايات حول اسم البوابة التي دخل منها السلطان سليمان فمنهم من يقول إنه دخل من بوابة قزل قبو (أو قابي) Kizilkapi(٩٩) ، ومنهم

(٩٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٤٥ ، وكان قد دخل الجزيرة كل من الصدر الأعظم پير محمد باشا مع الوزير أحمد باشا وآغا الإنكشارية الجديد الذي نصب بدلاً من بالي آغا ، برفقة ١٥٠ من الإنكشارية لبحث إجراءات الأمن فيها بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٥٢٢م .
Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 70.

(٩٧) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٤٥ .

(٩٨) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٤٦ .

(٩٩) رودس فتح نامه سي ، ص ٣٦ . Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628

من قال إنه دخل من بوابة عرب قله سي Arap Kulesi[١٠٠] ، ولكن تفسير ذلك ربما يكون ناتجاً من أن السلطان دخل المدينة عدة مرات ، وكان يدخلها كل مرة من بوابة مختلفة . وصدرت الأوامر العليا بتجهيز الكنيسة لصلاة الجمعة ، فأُصلحت الكنيسة قدر الإمكان ، وأُزيلت الصور ، وصُنع منبر لطيف من الخشب مزخرف بعدة ألوان لهذه الغاية[١٠١] . كما تجوّل السلطان في أرجاء الجزيرة لتعرّفها فطاف بشوارع المدينة ، وزار قلاعها ، وميناءها ، ورأى السلسلة الضخمة التي وضعها الأهالي على الميناء لمنع دخول السفن العثمانية[١٠٢] .

وفي ليلة الجمعة ١٥ صفر ٩٢٩هـ/ ٣ يناير ١٥٢٣م وقبل شروق الشمس ، رحل قائد فرسان القديس يوحنا ومعه أنصاره ورجاله وكل من فضل مغادرة جزيرة رودس .

وفي يوم الجمعة توجه السلطان للمدينة ، ودخل الكنيسة التي تحولت إلى جامع لتأدية الصلاة وقد غص المكان بالمصلين ، وقُرئت الخطبة باسم السلطان سليمان ، وعند الانتهاء من ذلك ركب السلطان البحر عائداً إلى مرمروس ، ورست السفينة هناك يوم السبت ١٦ صفر ، ورحل إلى مكان يسمى بدل ، ثم تركها متوجهاً إلى القسطنطينية مقر حكمه بعد أن أتم رحلته ونجحت حملته في ضم جزيرة رودس إلى أملاك الدولة العثمانية[١٠٣] .

(١٠٠) فتح رودس، مكتبة نور عثمانية رقم Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3 ، ص٣٦.

(١٠١) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٤٧ ، فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٩ .

(١٠٢) جلال زاده چلبي ، طبقات الممالك ، ص ٨٠ .

(١٠٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٥٤ - ٥٦ ، مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٤٧ .

وتبعه في اليوم نفسه الوزير فرهاد باشا ، أما الوزير أحمد باشا فقد غادر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٩ صفر ٩٢٩هـ/ ٧ يناير ١٥٢٣م ، وبقي في الجزيرة الوزير قاسم باشا بكلر بك (أمير أمراء) الأناضول مع عساكر الأناضول وفقاً للأوامر الصادرة ، وذلك لإصلاح أسوار القلعة ، وتثبيت أقدام العثمانيين في الجزيرة(١٠٤) . وعاونه في ذلك أربعة أمراء من الأناضول هم : أمير آخور اسكندر بك ، منتشا سنجاق بكي (أمير إمارة منتشا) ، وسنان بك أمير إمارة قره سي ، ولطفي بك أمير إمارة آيدن ، وفرهاد بك أمير إمارة صاروخان ، وقد أقيمت إمارة عثمانية جديدة مستقلة في جزيرة رودس وأُسندت إلى دزدار زاده محمد چلبي أمير إمارة مدللي للإشراف على أمورها(١٠٥) . كما أبقى السلطان بعض الفرق العسكرية بالمدينة وهي ٥٠٠ من حراس القلاع (حصار ارنلري) ، و٥٠٠ إنكشاري ، وخصص للجزيرة ٤ قادرغات و٥ سفن من القوارب (قايق) .

وبعد دخول السلطان سليمان جزيرة رودس تم القبض على مراد بن جم الذي أصبح كاثوليكيا وعاش في الجزيرة ، وأمر السلطان بقتل مراد مع أبنائه ، وأرسل بناته (جواهر ملك وعائشة) مع أمهما إلى إستانبول(١٠٦) وخرج فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس بعد إقامة دامت أكثر من مائتي عام ، وظلوا يجوبون البحر المتوسط إلى أن منحهم الملك شارلكان إذناً بالإقامة في جزيرة

(١٠٤) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٥٢ .

(١٠٥) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٩ .

Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 71.

(١٠٦) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٩ .

Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 175; s 316

Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 70.

مالطة Malta وجزيرة جوزو Gozo ، وأخذوا يبنون قوتهم من جديد ، فأرسل العثمانيون عدة حملات لمحاربتهم إلا أنهم فشلوا في إخراجهم من الجزيرة(١٠٧) ، وقد بدأ الضعف يتغلغل إلى الفرسان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وفي عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م استطاع نابليون أن يحتل الجزيرة ، وأن يقضي نهائياً على الفرسان ويخرجهم من الجزيرة(١٠٨) .

أما العثمانيون فقد واصلوا فتوحاتهم ضد ممتلكات فرسان القديس يوحنا- فكما ذكر سابقاً - كان للفرسان مواطن أخرى على البحر الإيجي ، وأراد العثمانيون أن يخرجوا الفرسان نهائياً من سواحل البحر الإيجي لذلك أحضر سكان قلعة تختالي Tahtalu الواقعة في جزيرة رودس مفاتيح القلعة وسلموها للعثمانيين ، خوفاً من أن يلاقوا نفس مصير سكان رودس ، كما أحضر أهالي جزيرة كوس Cos وتعرف عند العثمانيين باسم إستانكوي Istankoy مفاتيح المدينة(١٠٩) . وعندما عادت الجيوش العثمانية من تلك الحملة توقفت في منطقة بودروم Bodrum الواقعة في جنوب غربي الأناضول ودخلت المدينة في

---

(١٠٧) النهروالي ، الإعلام ، ص ٣١٢ . Norman Housley, The Later Crusades, p. 230 - 231
في الأشهر الأولى من الحصار استسلمت كل من هركه أو خاركي Piskopi ، وإلياكي Tilos وإنجيرلي Nisyros ولمزيد من المعلومات حول حصار رودس انظر :

Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 71 - 117.

(١٠٨) The New Encyclopaedia of Britannica, vol. 6, p. 78.

(١٠٩) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٥٣٩ ، وإبراهيم بجوي ، بجوي تاريخي ، جـ١ ، ص ٧٦ ، مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٤٥ ، وجلال زاده چلبي ، طبقات الممالك ، ص ٨٠ ، فتح رودس ، ص ٣٧ .

Nur-i Osmaniye Kütüphanesi, No. 3170/3

جلال زاده صالح چلبي ، رودس فتح نامه سي ، ص ٣٧ .

Istanbul Üniversite Kütüphanesi No. 2628.

٢٢ صفر ٩٢٩هـ/ ١٠ يناير ١٥٢٣م(١١٠) ، وأنهت تبعيتها للفرسان التي دامت ١١٧ عاماً . كما تمكن العثمانيون من ضم ممتلكات الفرسان في الجزر التالية : ليروس Leros ، وكلملي Kilimli (Kalimnos) ، وسمبكي (Symi) Sombeki ، وبهذا سيطر العثمانيون على كل ممتلكات فرسان القديس يوحنا الواقعة في البحر الإيجي(١١١) ، وأخضع العثمانيون لحكمهم كل المدن والقلاع التابعة لفرسان القديس يوحنا والبالغ عددها ١١ قلعة(١١٢) ، وانتهى حكم الفرسان بعد أن دام ٢١٣ عاماً .

وصف القسطنطينية :

وهنا يعرج المؤلف على مدح القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ، فيصفها بعبارات لطيفة ، فيقول عنها إنها مدينة العلوم ، ومحط الرجال ، وهي أفضل ما فتحه العثمانيون من البلدان ، وكم من الملوك قصدوها ، ولكنها وقفت بأسوارها شامخة ، إلى أن جاء السلطان محمد الثاني ، ودخلها عنوة ، وبُنيت بها الجوامع والمدارس ، وبها عمارات ضخمة ، وقصور عالية ، ورياض خُضْر ، وبها أعلام المسلمين من العلماء والقضاة ، ومن كل أعلمهم ، وهي مقر السلطان والدولة(١١٣) .

(١١٠) كاتب جلبي ، تحفة الكبار ، ص ٢٤ .

Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, s 315.

Dr. Yaşar Yücel and Dr. Ali Sevim, Türkiye Tarihi, C. II, p. 263.

(١١١) Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan" s 71.

(١١٢) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ . انظر ترجمة الرسالة التي بعث بها السلطان سليمان إلى قاضي مدينة بورصة في الملحق ٣ .

(١١٣) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٥٥ - ٦٠ .

وصف مدينة وجزيرة رودس :

ويبدو أن المؤلف أغفل الحديث عن مدينة رودس في أول المخطوطة وتذكّر ذلك عند الانتهاء من كتابة أحداث الحصار والاستيلاء على الجزيرة ، فأوردها هنا وقال إنها : مدينة صغيرة غريبة عجيبة ، متقنة البناء والإحكام ، تحيط بها أسوار عالية ، وخنادق عميقة ، وبها بعض البيوت التي تعتبر آية في الروعة والجمال[١١٤] .

أما الكنيسة الكبيرة[١١٥] فهي عجيبة البناء ، توجد رسومات بديعة على كل جانب من أبوابها ، وهي في غاية الدقة ، حتى يخالها الناظر مناظر حقيقية ، وأهم البوابات هو بابها الكبير ، وعليه رسومات كثيرة ، ويوجد على هذا الباب صورة شخص من نحاس أصفر ملقى على قفاه فوق سرير من خشب ، وثيابه من النحاس الأصفر أيضاً ، ويداه موضوعتان على صدره ، وفي يده سبحة نحاس صفراء ، ولحيته من النحاس أيضاً ، وبها تجاعيد كتجاعيد الشعر ، وعلى رأسه ما يشبه قلنسوة من النحاس ، يقال بأنها صورة أكبر ملوكهم ، وفي داخل الكنيسة وعلى يسار الداخل هناك أربع صور نحاس على سرير من خشب إحداها صورة سبع يلف رأسه إلى أحد الجوانب ، وبجانبه صورة طائر مفتوح الجناحين ، وفي رأسه قرنان ، وبجانبه صورة سبعٍ وطائرٍ آخرين ، وهما كالأولين[١١٦] .

(١١٤) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٦٠ - ٦٢ .

(١١٥) لا يذكر العباسي اسم الكنيسة بينما يذكر صاحب كتاب فتح رودس اسمها وكانت تُعرف باسم سلجوان ، مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري رقم ٢٨٩ ، ص ٤٥ - ٤٦ ويقول شرف الدين طوران إن اسمها كنيسة القديس سانت جيوفاني .

Sant Giovanni, Şerafettin Turan, “Rodos’un Zaptindan" s 71.

(١١٦) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٢٦ .

والكنيسة مستطيلة الشكل ، وفي وسطها المكان الذي يصلون فيه ، وتوجد صور في مكاتين مرتفعين على الجوانب ، وفي وسطهما صورة إنسان من الرخام ملقى على ظهره ، ويداه على صدره ، وفي وسط الحائط توجد صورة لمريم العذراء ، وفي يدها طفل صغير وهي ملونة بمختلف الألوان ، ويقولون إنه المسيح عليه الصلاة والسلام ، هذا إضافة إلى تماثيل وتصاوير أخرى عجيبة الصنع في أوضاع غريبة ، وهي لأشخاص تقربهم إلى الله تبارك وتعالى[١١٧] .

وهناك آلات عديدة من حديد ونحاس وُضعت في مختلف الأماكن ، وهي تُستخدم لمعرفة الأوقات ورصدها ، وفي الطرف الغربي من الكنيسة توجد قبة سماوية كبيرة ، وهي مرتفعة ، وتوجد بها النواقيس الكبيرة ، وتحت النواقيس توجد صور للمجموعة الشمسية في غاية الدقة والجمال ، وقد قام سكان الجزيرة بإنزال ثلاثة من نواقيسهم الكبار عندما أحاطت بهم السفن العثمانية ، حفاظاً عليها من المدافع ، وبلغ ارتفاع أكبرها قرابة عشرة أشبار ، وإذا قلنا إن الشبر يبلغ حوالي عشرين سم فيكون ارتفاع أكبر النواقيس حوالي المترين ، وبلغ قطره من الأسفل نيفاً وعشرين شبراً (والنيف : من ١ - ٤) والناقوس معلق بالسقف بسلسلة حديد توازي غلاظتها إصبع الإبهام بثلاث مرات . وفي الكنيسة عدة أصنام من الرخام الأبيض ، أخرجت وكُسّرت ، وقام العثمانيون بطمس معظم الصور الموجودة فيها[١١٨] .

وتوجد دار الحكم بالقرب من تلك الكنيسة ، وكانت آية في البناء ، وبابُها في غاية الإحكام ، وهو مغطى بالنحاس الأصفر ، وتوجد بيوتُ أكابرِ أهل الجزيرة على جوانب الكنيسة ، وتوجد في المدينة عدةُ كنائس ، فيها تصاوير

(١١٧) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(١١٨) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٦٤ .

عجيبة ، وكانت شوارع المدينة مبلطة بالحصى الكبيرة المغمسة في الكلس بطريقة غريبة ، وبها رحى أو طواحين كبيرة تدور بالهواء ، وبها عيونٌ متعددة عذبةُ الماء ، وبها أيضاً الميناء حيث مرسى المراكب ، وقد أُحكم بناؤه ، وبه عدة آبار واسعة الأفواه ، وهي مصنوعة من الرخام الأبيض . وفي المدينة أسواقٌ عدة كبيرة ، يرتادها الأهالي ، وبها عدة أفران ، أما الحمامات فلا يهتم بها سكان المدينة(١١٩) .

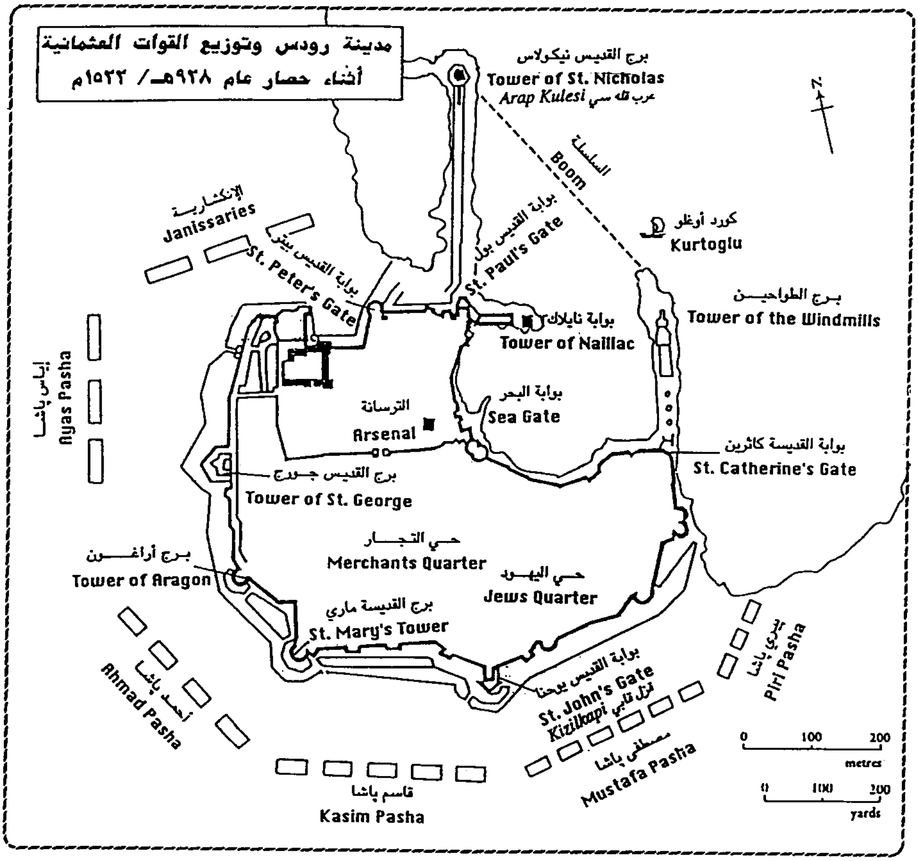
والجزيرة معتدلة الهواء ، وخارج المدينة توجد البساتين الكثيرة ، وفيها معظم الفاكهة ، ويُزْرَعُ فيها النخيلُ والنارنجُ والليمونُ والأُترج ، كما توجد في الجزيرة أعشاب وزهور لا تحصى . وبعيداً عن البحر توجد مدينة رودس القديمة ، وهي مهجورة لم يبق منها إلا بعض الآثار ، وصدرت أوامر سلطانية وقت الحصار بإصلاحها ، فتم تعمير جانب كبير منها . وفي الجزيرة حصون متعددة ، وأكبر هذه الحصون يُعرف باسم تخت لي ، وقد استسلمت كل تلك الحصون والقلاع(١٢٠) .

ويعرج المؤلف على الحديث عن عظمة هذا الفتح ، وبيان أهميته بأسلوب حسن ، وهو عبارة عن ملخص لفتح الجزيرة ، ويقول إن مدة السفر ذهاباً وإياباً وإقامة استغرقت سبعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً ، ويختتم بذكر التاريخ الذي انتهى فيه المؤلف من إعداد هذه المخطوطة وهو يوم السبت ٢٢ رجب ٩٢٩هـ/ ٦ يونيو ١٥٢٣م ويصلي ويسلم أخيراً على محمد وآله وصحبه .

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٢٠) العباسي ، منح رب البرية ، ص ٦٥ . وظلت جزيرة رودس بأيدي العثمانيين حتى عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م عندما استولت عليها إيطاليا ، وفي عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م سلمت الجزيرة لليونان ، ولا تزال تحكمها حتى يومنا هذا .

The New Encyclopaedia of Britannica, Vol. 10, p. 25.



شكل (٣)

مراجع الخريطة :

Jonahtan Riley, Smith, The Atlas of Crusades (New York, 1991) p. 136.

Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan Malta Muhasarasina", TTK, Kanuni Armağani, Ankara, 1970, s 118.

الفصل الثالث

النص الأصلي للمخطوطة

هناك بعض الأمور التي روعيت أثناء إعادة طباعة للمخطوطة لتساعد الباحث على قراءتها وتتبعه للأحداث وهي :

١ - وُضعت الآيات القرآنية بين قوسين صغيرين « » وقد كتبت بخط يختلف عن خط المخطوطة للتميز .

٢ - كُتبت أسماء المدن والقرى بخط أسود لتكون واضحة للقارئ .

٣ - بالنسبة للكلمات التي لم نتأكد من قراءتها ، فقد كتبت ووضع بعدها علامة استفهام بين قوسين [؟] .

٤ - وُضعت أرقام اللوحات حسبما وردت في المخطوطة بين قوسين [] وذلك لإرشاد القارئ إلى بداية ونهاية كل لوحة ، ليتسنى له التحقق والرجوع بسهولة للأصل .

٥ - قُدمت بعض المعلومات عن الشخصيات والمواقع الواردة في المخطوطة الأصلية ولم تقدم في الدراسة منعاً للتكرار .

٦ - قمت بمقابلة التواريخ الهجرية الواردة في المخطوطة بالتاريخ الميلادي في الدراسة وليس في الأصل .

٧ - العناوين الجانبية من وضع المحقق وليست من أصل المخطوطة ، لذا فقد وُضعت بين قوسين [ ] .

مِنَـــحُ رَبِّ البريّـــة فـــي فَتْـــح رودس الأبيّـــة

برسم الخزانة الشريفة الملكية

السليمانية العثمانية

خلد الله ملك ملكها

إنشـاء العبـد عـبدالرحـيم العبـاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

[فضل الجهاد]

الحمد لله الذي فضَّل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً . وأعد لهم ما وعدهم به على بذل نفيس نفوسهم جنة ونعيما . وأعْتد لهم تكريماً لمقدَّس أرواحهم مقاماً رفيعاً ، ورزقاً كريماً . فسبحانه من إله أعطى فأجزل العطا . وكشف عن بصر بصيرة أوليايه الغِطا. فبادروا إلى قتال أعدايه بدار المحب إلي المحبوب . وصبروا [٢] على وقع سيوفهم صبر أيوب . وفرحوا بقبول نفايس نفوسهم كما فرح بلقاء يوسف يعقوب ، أحمده حمد من تاجر في ثواب الدار الآخرة فربحت تجارته ، وأشكره شكر من خاطر بخطير حياته في ابتغاء مرضاته فنفقت بضاعته . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة موقن أن الجنّة تحت ظلال السيوف ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذي هو بالقيام في ذات الله معروف ، وبالجهاد في سبيله حق الجهاد منعوت وموصوف ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه حماة الدين . وكمد نفوس المعتدين ، ما كانت هام الكفار لسيوف الأبرار أجفاناً ، وما زُلزلت بهم الأرض رُعبا ، فلا يجدون هُدُوّا ولا يُغمضون أجفاناً ، وبعد فإن لله عباداً جعل عزايمهم إلي جهاد أعدايه مصروفة ، وهممهم على نصرة أولايه محبَّسة موقوفة . فيهيمون بالقيام فيها قيام أولى الغرام ويثبُتون [٣] بمزيد الإقدام في مقامٍ تزلّ فيه الأقدام . ويُبيّضون وجوههم بتسويد عيش الكفار ، ويذيقونهم الموت الأحمر بأزرق السنان وأخضر البتّار ، فيصفرُّ منهم البنان وتغشي وجوههم النار ، يجدون في الجهاد من اللذة فوق ما يجده الظمان من شرب الزلال ، ويعدُّون من نفيس

أوقاتهم ما كان مصروفا في واقعة القتال ، لا يثني عزمهم حرّ الهجير ، ولا تثبطهم شدة الزمهرير ، ولا يقعدهم حبّ الأهل والولد ، ولا يخلفهم ميل الوطن والبلد ، هجروا في ذلك لذيذ المنام وشهي الطعام ، ورغبوا في تعب الأجسام ، وزهدوا في الراحة لها في دار السلام ، وكان من أكثرهم في ذلك سهما ، وأوفرهم منه قَسما ، مولي ملوك الأمم ، وسيد سلاطين العرب والعجم ، خليفة الله في الأرض ، والحاكم في الطول منها والعرض ، ملك البرين والبحرين والعراقين [٤] وحامي الحرمين الشريفين ، صاحب الممالك القيصرية والكسروية ، وممالك الأقطار الحلبية والشامية والمصرية ، السلطان بن السلطان بن السلطان سليمان(١) خان(٢) بن سليم(٣) خان بن بايزيد(٤) خان بن

(١) وهو عاشر سلاطين الدولة العثمانية ، ولد في عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه السلطان سليم الأول في عام ٩٢٦ - ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م [لمزيد من المعلومات حول السلطان سليمان الأول أو القانوني انظر : قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (بيروت ، ب . ت .) ص ٢٩١ - ٣٢٧] .

(٢) وهو أحد ألقاب السلاطين العثمانيين ، وعادة ما يأتي بعد اسمه ، وهذا اللقب استعمله أيضاً حكام بلاد فارس وأواسط آسيا ، ويقال إنه من أصل صيني ung أو ang أو Khang .

(٣) وهو السلطان سليم الأول ، تاسع سلاطين الدولة العثمانية ، ولد في أماسية سنة ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨م ، تولى الحكم بعد أبيه السلطان بايزيد الثاني ، واستمر حكمه تسع سنين من ٩١٨ - ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ - ١٥٢٠م وكان كثير البطش وسفك الدماء (لمزيد من المعلومات انظر : النهروالي ، الإعلام ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧) .

(٤) وهو السلطان بايزيد الثاني ، ثامن سلاطين الدولة العثمانية تسلم الحكم بعد وفاة أبيه السلطان محمد الثاني في الفترة ما بين ٨٨٦ - ٩١٨هـ/ ١٤٨١ - ١٥١٢م ، كان ميالاً للسلم أكثر من ميله للحرب ، وقد تعرَّض في أواخر أيام حكمه لعصيان أبنائه الثلاثة قرقود وأحمد وسليم . لمزيد من المعلومات انظر مقالة : نيقولا فاتان «صعود العثمانيين ١٤٥١ - ١٥٢١» ، تاريخ الدولة العثمانية ، بإشراف روبير مانتران ، جـ ١ ، ترجمة بشير السباعي (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ١٥١ - ١٦٧ ، ود . أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ٧٣ - ٧٦ ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي : ٨ العهد العثماني ، ط ٢ (بيروت ، ١٩٨٧) ص ٩٢ - ٩٥ .

عثمان[٥] خرق الله العوايد بخلود دُوَلِه، وجعل ملوك الأرض من خدامه وخوله، ووهبه من الملك ما يقارب ملك نبي الله سَمِيّه، وكان عدوَّ عدوه ووليّ وليه، وسَهَّل على يده من فتح ممالك الكفار، ما يرتفع به من الإسلام المنار، ويجزم للكفرة بحصول البوار والدمار، فإنه خلّد الله ملكه، وعجّل لعدوه دَمارَه وهُلكَه، من حين جلس علي تخت ملكه الشريف، ومقرٍّ مجده الذي هو على الفرقدين مُنيف، ووَجه همّته متوجه إلي الغزو في سبيل الله، وعزْمُ عزيمتِه في ذلك غير غافلٍ ولا لاهٍ، إلى أن توجه إلي جهة بلغراد[٦]، وبلغ من فتحها [٥] غاية المراد، بعد أن عجز عنها من تقدمه من الملوك، ولم يحسنوا في الطرق الموصلة إلي أخذها السلوك، وذلك حين قرأ له لسان الامتنان «**ففهمناها سليمان**»[٧]. فيا له فتحٌ عظُم قدرُه، وشاع في الأقطار ذكرُه، وملأ الأسماع خَبَره وخُبْرُه، ثم عاد إلي مقر ملكه محبوّا محبوراً، «**وانقلب إلي أهله مسرورا**»[٨]، ثم لم يكن له هم إلا تهيئة الأسباب، لفتح جزيرة رودس التي أذهلت بشرّها العقول وحيّرت الألباب، فبرز أمره الشريف

---

(٥) وهو عثمان بن آرطغرل وتُنسب الدولة العثمانية إليه، حكم عثمان في الفترة ما بين ٦٨٧ - ٧٢٦هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٢٦م، اقتصرت فترة حكمه على إرساء وتثبيت قواعد الأسرة، وتوسيع رقعة الدولة حيث استولى على عدد من المدن المهمة في غرب الأناضول، ولهذا كان كل سلطان جديد من أبنائه يتقلّد سيف عثمان مؤسس الدولة كدليل على تقلده السلطة. لمزيد من المعلومات انظر مقالة: ايرين بيلديسينو «البدايات: عثمان وأورخان»، تاريخ الدولة العثمانية، بإشراف روبير مانتران، جـ ١، ص ١٧ - ١٩، ود. أحمد عبدالرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص ٣٦ - ٣٧.

(٦) بلغراد Belgrade : مدينة حصينة تقع على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر ساف، وهي عاصمة مملكة الصرب الآن.

(٧) سورة الأنبياء (٢١)، آية ٧٩.

(٨) والأصح «**وينقلب إلى أهله مسروراً**» سورة الانشقاق (٨٤)، آية ٩.

بإصلاح المراكب ، وأن يحشد إليها براً وبحراً ما بين ماش وراكب ، إذ كان فتحها من أهم الأمور الدينية ، وأجلّ ما صُرفت إليه عزيمةٌ صالحةٌ ونيّة ، لأنها كانت شرك الشرك ، وحبالة الإفك ، ومقر الظلم والعدوان ، ومستودع الخزي والبهتان ، طالما سيقت إليها الزّمر من المسلمين أساري ، ويكبلون في الحديد فتراهم من الكرب سُكارى ، [٦] «وما هم بسكارى»(٩) ، ويُستعملون في الأعمال الشاقة ، ويُكلفون فوق الجهد والطاقة ، ويقتسمون أموالهم كالأنفال ، وهم ينظرون ولا يُغنون بحال ، ولكَم قصدَها من الملوك جُملة ، وحملوا على أسوارها الحملة بعد الحملة ، وهي تأبي الانقياد ، وتصر على العناد ، فكانت في العيون كالقذا ، وفي الحلوق كالشّجا ، كم جأر فيها أسير فلم يسمع له جئير ، وكم أنَّ فيها مغلول ، وباب الفرج دونه مقفول ، وكم سهرت فيها عينٌ بليل ، وجرى معها كالسيل ، وكم تأوّه بها أوّاه ، وقال بخفي صوته وجليّه يا الله ، وقلوبهم عليهم كالحجارة أو أشد قسوة ، يطعمونهم خشن العيش ، ويكسونهم أخشن الكسوة ، والقلوب من سماع أخبارهم تتلهّب ، ومن شديد اصطبارهم تتعجب ،وإلي الله في استخلاصهم تبتهل ، وعلى جميل فضله تعول وتتكل ، إلي أن شرح الله صدر سلطان الإسلام ، وقيّضه [٧] للعزم على ذلك والاهتمام ، وبرز أمره الشريف بتجهيز العساكر ، وتهيئة القبايل والعشاير فأقبلوا أفواجاً أفواجاً ، وفرادي وأزواجاً ، وبرز الأمر الشريف بتجهيز عسكرصحبة **فرهاد باشا**(١٠) ، وأن يقيموا **بقيصرية**(١١)

(٩) سورة الحج (٢٢) ، آية ٢ .

(١٠) فرهاد باشا : أصل الاسم فرحات إلا أنه كتب حسبما يلفظ باللغة التركية ، وهو الوزير الذي كلّفه السلطان سليمان القانوني القضاء على ثورة الغزالي ، ثم عينه السلطان والياً على بلاد الشام فدخلها يوم السبت الموافق ١٥ محرم ٩٢٨هـ/ ١٥ ديسمبر ١٥٢١م ، وكان محباً للعلم ، وبعد سنة مرض فرهاد ومات بدمشق يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة ٩٢٩هـ/ ٦مايو ١٥٢٣م ، ودفن عند جامع ابن عربي بدمشق . انظر : ابن طولون ،إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق عبدالعظيم خطاب (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

(١١) قيصرية Kaysari : مدينة تركية تقع في وسط الأناضول بين أنقرة وملاطية .

وتوقات[١٢] ، لحفظ تلك النواحي والجهات ، وكان ذلك في ظاهر الحال ، والباطن مضمرٌ غير ذلك من الأحوال ، ثم أسفر صبح ذلك الكتمان ، عن قتل **علي بك بن ذولغادر**أمير التركمان[١٣] ، فإنه كان فاسد الظاهر والباطن ، مظاهرٌ في السر للأعداء ومباطن ، وكان فيه من الظلم ما لم يكن في الحجاج[١٤] ، وفيه من القبايح ما يملأ الشعابَ والفجاج ، لا سيما حين توجه إلي الشام في واقعة الغزالي[١٥] فإنه وتركمانَه أوسعوا المسلمين قهراً وكربا ، وأبادوهم أسراً

(١٢) توقات Tokat : مدينة تركية تقع في شمال شرقي تركيا .

(١٣) هو علي بك بن الشاه سوار الحاكم التركماني لإمارة ذي القادر ، وكان علي بك قد اختلف مع عمه علاء الدولة فلجأ إلى السلطان العثماني سليم الأول ، الذي تدخل في هذا النزاع لصالح علي بك ، ونصبه حاكماً على الإمارة عام ٩٢١هـ/ ١٥١٦م وذلك بعد قتل علاء الدولة وإرسال رأسه للسلطان قونصوه الغوري (انظر : ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٦٢) . وظل علي بك حاكماً للإمارة حتى عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م عندما استدعاه الوزير فرهاد باشا هو وعدد من أبنائه ، وأمر بقتلهم جميعاً ، وزالت دولتهم ، وضُمت أملاكها للدولة العثمانية . (انظر : أحمد بن يوسف القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٩٩ - ١٠٣ ، وقطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ٣١٢) .

(١٤) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠ - ٩٥هـ/ ٦٦٠ - ٧١٤م) قائد داهية وخطيب ، ولد ونشأ بالطائف ، وانتقل إلى الشام ، ثم قلّده عبدالملك بن مروان أمر عسكره ، وأمره بمحاربة عبدالله بن الزبير فانتصر عليه ، فولاه عبدالملك مكة والمدينة والطائف ، ثم عيّنه والياً على العراق وبقي بها عشرين عاماً ، بنى خلالها مدينة واسط بين البصرة والكوفة ومات بها . لمزيد من المعلومات انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ٨ (بيروت ، ١٩٨٩) جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

(١٥) هو جان بردي بن عبدالله الشركسي الشهير بالغزالي ، أحد القادة المماليك ، كان والياً على حماة وقت اندلاع معركة مرج دابق بين قونصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ - ١٥١٦م) والسلطان سليم ، وعينه الغوري قائداً للميسرة في المعركة المذكورة ، واتهمه العديد من المؤرخين بالخيانة والانحياز للعثمانيين ، وكان سبباً رئيسياً في هزيمة المماليك ، ولكن =

ونهبا ، فانتقم الله منه بسيف وليّه ، وأراه عاقبة بغيه بخزيه ، ثم أعقبه توجه **مصطفى باشا** باش العساكر البحرية(١٦) ، فبرز في هيئةِ سنيّة ، وخرجت المراكب يتلو بعضها بعضا ، وتجري [٨] على وجه البحر كخيل تركض في ميادينها ركضا ، تَخالُها عرايس ترفل في خُلَلِكِ إعجابها . وتخطر بين أقرانها وأترابها ، مُهورُها نفوس الكفار ورؤوسهم المنشورة بالصارم البتار ، هي لها من جملة النِّثار(١٧) ، وبها من المُقاتلة من بايع الله على نفسه فربحت صفقته في حضرة قدسه ، فهم لا يهابون الموت ، ولا يخشون الفوت ، بل يعدّون الشهادة نغما ، ويرون الحيوٰة مغرما ، وعندهم تقطيع الأوصال أشهى من ليالي الوصال ، وحزّ الرقاب أحبُّ من لقاء الأحباب ، وقطع الغلاصم(١٨) أهنا من الاعتناق بالمعاصم ، وملابسة المنيّة أولى من بلوغ الأمنيّة ، والتعفر في التراب ألذ من ملاعبة الأتْراب ، والحمل على الجنايز أحري من أخذ الجوايز ، وتعديد النوادب أجدر من إعداد المآدب ، وتحرُّق الشواكل(١٩) آنس من التأنق في

= في حقيقة الأمر ظل الغزالي موالياً ومخلصاً للمماليك ، فبعد مرج دابق عاد إلى القاهرة حيث عينه طومان باي قائداً عاماً للجيش المملوكي لملاقاة العثمانيين في فلسطين ، وهُزم الغزالي قرب غزة ورجع إلى القاهرة ، وبعد هزيمة المماليك في الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م طلب الغزالي الأمان لنفسه من السلطان سليم الذي منحه إياه ، ثم عينه السلطان سليم والياً على بلاد الشام يوم الثلاثاء ٥ صفر ٩٢٣هـ/ ٢٧ فبراير ١٥١٧م ، ولما توفي السلطان سليم عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م أشهر الغزالي تمرده على الدولة العثمانية ،فأرسل السلطان سليمان القانوني جيشاً بقيادة الوزير فرهاد باشا تمكن من القضاء عليه على وتمرده في ٢٦ صفر ٩٢٧هـ/ ٥ فبراير ١٥٢١م . (لمزيد من المعلومات حول الغزالي وتمرده انظر : فيصل عبدالله الكندري ، «جان بردي الغزالي وموقفه من العثمانيين» ، مجلة المؤرخ المصري ، قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة القاهرة ، العدد السابع عشر يوليو ١٩٩٦ ، ص ١١ - ٤٤ .

(١٦) هو أحد رجالات الدولة العثمانية . باش تعني (رأس) باللغة التركية ، وهنا تعني القائد .

(١٧) النثّار : نثار أو نثّار : ما ينثر على الضيوف في العرس من حلويات وتمر وهدايا صغيرة .

(١٨) غلصم : اللحم بين الرأس والعنق .

(١٩) ثكِل : فَقَد ، والثكلان : الذي فقد ولده .

المآكل ، وملامسة هاذم اللذات خير من سلامة الذات ، يقتلُ أحدُهم أباه ، إذا عاف الإسلام وأباه ، ويقصد بالهلاك [٩] أخاه . ويتعمّده ويتوخّاه ، لا تأخذه في الله لومة لايم ، ولا تنثني منه عزمةُ العزايم ، صوت بارودهم ترعُد من رعدهِ قلوب الكفار ، وبروق نيرانه تبشّرهم بالدنو من النار ، ولمع صوارمهم تنكسف له شموسُ أفراحهم ، وتحذّرهم من وقوع البوار ألْسنةُ أسنّةِ رماحهم ، وكان يومُ توجّه المراكب يوماً مشهودا ، وموسماً في المواسم معدودا ، كتب الله لهم السلامة ، وجعل الغنيمة وراءَ مطلبهم والفتحَ أمامه . وفي يوم الأحد العشرين من رجب سنة ثمان وعشرين وتسع ماية برز الأمر الشريف بإخراج الأوطاق(٢٠) إلى جهة اسكودار(٢١) .

[خروج السلطان]

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه ركبَ نَصَرَهُ الله من محلّ تخت(٢٢) المُلك على ظهر الفُلك ، وتوجه إلى اسكودار محروساً بالملائكة الأبرار ، محفوفاً بالأعوان والأنصار والله يؤيده ويعضُدُه ، ولسان النصر يسير إليه وينشدُه ، تعدّى البحر لما أن تعدى من استعصى بجريئته وندا ، وقام بنصر دين الله لمّا رآه لضدّ ذلك قد تصدّى ، [١٠] وجرّد صارم العزم الذي لا يُلابس دون نيل القصد غمدا ، وأيقظ همّة قد أعجزت من تحدى بالبلاغة إن تحدّا ، وسار يحفُه نصرٌ عزيزٌ ، وفتحٌ بالسعادة قد تبدّى ، وأوجف كل قلب منه رعبا ،

(٢٠) أوطاق : كلمة تركية تعني الخيمة .

(٢١) اسكودار Üsküdar مدينة تركية في الطرف الآسيوي من استانبول ، وهي اليوم قضاء Ilce تبلغ مساحته ١٨٦كم٢ ، لمزيد من المعلومات انظر :
Meydan Larousse, C. 12, (Istanbul, 1973) s 486.

(٢٢) تَخْت : كلمة فارسية تعني (سرير) .

كـأن بجـوفه من ذاك رعـدا ، وعـون الله يصـحبه فـمـهـمـا يرُمْه مـن المقـاصـد لن يُردّا ، فـلا زالت له الأيام تُبـدي زيادةَ عـزّةٍ وتُجـدُّ سَـعْـدا ، وأقـام جـدّد الله له المسرات بعـدد ما في الكون من الذرات ، في المنزل المذكور يـوم الثلاثا الثاني والعشـرين منه ثم رحل أمدّه الله بالتـوفيق والسعـادة ، وخرق بطول حيـوته العادة يوم الأربعـا ثـالث عشـريه ، ولـم يزل يـرد المناهل[٢٣] ، ويطـوي المنـازل ، وعناية الله له مصاحبة ، وسعـود الأيام على خـدمته ملازمةٌ مُواظبة ، وعزمـه على جهاد أعداء الله مبرمُ العـزايم ، وهمّته في الجـهاد في سبيـل الله شـديدة الشكـايم ، إلى أن نزل بظاهر مـدينة **كـوتاهية**[٢٤] يوم الأربعـا ثامن شـهـر شـعبـان ، وهـي مـدينة لطيفة ، غـير مـسوّرة ، كـثيرة الخِصب والبساتين والمـروج ، ذات ميـاهٍ مُغـدقة ، وجنّـات مـوثـقــة[٢٥] ، تقــتنص النـظر بتــدبيج[٢٦] [١١] أزهـارهـا ، واطـراد[٢٧] أنهارها ، كـأنما نَسَـج أديمـها[٢٨] مَنسَـج ، واستوت أطرافهـا وأوسـاطها ، فـجوّها سَـجْسَـج[٢٩] ، ومهـما تكمّلت الفـصول أعاد الله شبابها ، فـأنشأها خلقاً جديداً ،

(٢٣) المنهل : الموضع الذي فيه ماء للشرب ،ويقع على طريق السفر .

(٢٤) كوتاهية Kütahiye : مدينة تركية تقع غرب اسكي شهر ، وهي مدينة تاريخية تقع في غرب الأناضول ، زادت شهرتها أيام الدولة البيزنطية ، واتخذها يعقوب بك الأول مقراً لحكم أسرة جرميان التي ظهرت عام ١٣٠٢م ، وتوسعت المدينة كثيراً في عهده ، وقد استولى عليها السلطان أورخان عام ١٣٥٧م ، وفي أيام الدولة العثمانية كانت عبارة عن سنجاق مستقل تابعة لولاية خدواندكار Hüdavendigar ، أما اليوم فهي مدينة قائمة بذاتها .

(Meydan Larousse, C. 7, s 738 - 741).

(٢٥) موثقة : محكمة .

(٢٦) تدبيج : تزيين .

(٢٧) اطراد : جريان .

(٢٨) أديم الأرض : وجهها الظاهر .

(٢٩) سجسج : معتدل .

وجعل عودها عوداً مثمرا ، وظِلّها ظِلا مديدا ، وقلعتها حصينة شهيرة الامتناع ، باينة الارتفاع ، معدومة الشبيهة والنظير في القلاع ، تنزّهت حصانة أن تُرام أو تُستطاع ، قاعدة كبيرة ، ومايدة من الأرض مستديرة ، سامية الأرجاء ، واسعة الفناء ، موضوعة على نسبة حسنة في الاعتدال والاستوا ، معقل الحُسن ومستقرّه ، ومجاز الأُنسُ ممرّه ، قد عقد الجَبَل حَبْوتها(٣٠) ، وأزلق(٣١) الغراب أن يطأ ذروتها ، وبضواحي المدينة مروجٌ فسيحة الرّحاب ، واسعة الجناب ، كثيرة الكلأ والعشب ، زايدة الرّي والخِصْب ، يسافر النظر فيها ، ويرتاح القلب لمرائيها . [١٢] ثم رحل منها يوم الجمعة عاشره والله يعضدُهُ وينصره ويؤيده ، فنزل وقت الظهر إلى جانب قرية تسمى **فكار باشي**(٣٢) من توابع قرا حصار(٣٣) . ثم رحل والتوفيقُ مصاحبٌ ركابَهُ ، والسعدُ ملازمٌ جنابَهُ يوم السبت حادي عشره ، فنزل وقت الضحوة الكبرى بمنزلٍ يُسمى **اكجه بُغازي**(٣٤) ، وهو وادٍ مستطيلٌ وفيه بعضُ العيون ، ثم رحل منه لا زال النصر خافقاً بأعلامه ، والتأييد من خلفه وأمامه يوم الأحد ثاني عشره ، فنزل وقت الضحوة الكبرى بمنزل يسمّى **صشان أوسي**(٣٥) وهو مرج واسع يسافر النظر فيه فلا يبلغ مداه ، ولا يجمع بين أولاه وأخراه ، وفيه عيون وآبار ، ومراع جاوزت حد الإكثار ، ثم رحل منه لا زال مؤيداً منصورا ، مغتبطاً محبورا ، يوم الاثنين ثالث عشره ، فنزل

---

(٣٠) حبوة : ما يشتمل به من ثوب أو عمامة .

(٣١) أزلق : يزلق إزلاقاً .

(٣٢) فكار باشي : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٣٣) قرا حصار Kara Hisar كانت عبارة عن سنجاق Sancak تابعة لولاية خدواندكار ، ومان يتبعه العديد من القرى .

(٣٤) اكجه بُغازي : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٣٥) صيشان أوسي : أخطأ المؤلف في الاسم فهي صنجان Sincan ، وتقع في شمال صندوقلي .

وقت الضحـوة الكبرى بمنـزل يُسـمّى صندوق لي أوسي[٣٦] ، وهو منزلٌ واسعٌ معمور الجوانب بالقرى ، وهو قريب من قصبةٍ صغيرةٍ تُسمّى صندوق لي ، وفيه آبار وعيون ، [١٣] ثم رحل منه وملايكة السماء تحرسه في مسايه وصباحه ، وتعضـده في غُدوّه ورواحه يوم الثلاثا رابع عشره ، فنزل وقت الضحى بمنزل يُسمّى أشق لي[٣٧] ، وهو قصبة صغيرة ، وعندها مرج واسع ، وفيه نهر صغير وآبار ، غير أن الطريق إليه كانت كثيرة الغبار ، زايدة الصعود والانحدار ، ثم رحل منه دامت له الدولة والسعادة ، ووافقت مراداته الإرادة يوم الأربعا خامس عشره ، فنزل بمنزل يُسـمّى قوق بازاري[٣٨] ، وهو منزل واسع أيضاً . ثم رحل منه والنصر يخفق براياته ، والسعـد لا يني عن موالاته يوم الخميس سادس عشره ، فنزل بمنزل يُسمّى دنغوزلي[٣٩] ، وهو مرج واسع جداً ، وكانت الطريقُ إليه وعرةَ المسالك ، صعبةً على السالك ، متعددةَ الهبوط والصعود ، متزايدةَ التهايم والنجود ، والغبار يكحل بأثمدة الأبصار ، فيكاد أن يُفْقِدَها حاسةَ الإبصار ، ويدخل في الخياشيم ، فيحول بينها وبين روح النسيم ، ويكسو الأجساد ثياباً لم تَعن فيها يد خياط ، [١٤] ولم يلج فيها سمّ الخياط ، حتى يدع البياض سوادا ، ويدرّ على الملونات من قتامه رمادا ، وأقام بالمنزل المذكور يوم الجمعة سابع عشره ، ثم رحل منه مدّ الله ظل سعادته على الأكوان ، وأدام

---

(٣٦) صندوق لي أوسي Sandikli : كانت تتبع سنجاق قره حصار صاحب Karahisar Sahib التابعة لولاية خداوندكار ، أما اليوم فهي تتبع أفيون قره حصار Afyon Kara Hisar .

(٣٧) أشق لي : تقع في غرب صندوقلي . انظر خط سير السلطان في الشكل ٢ .

(٣٨) قوق بازاري : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٣٩) دنغوزلي : لم نعثر على مدينة بهذا الاسم ، يعتقد بأن المؤلف حرّف بالاسم ، ولكنها ربما تكون مدينة دينزلي Denizli التي كانت تتبع ولاية آيدن Aydin ، والتي تقع على الطريق بين صندوقلي وآيدن .

دولته بدوام الزمان يوم السبت ثامن عشره ، فنزل وقت الضحوة الكبرى قريباً من قصبة دنغوزلي في مرج واسع ذي قطر شاسع ، خضر الأرجاء والنواحي ، بَهِج(٤٠) المَرابع والضواحي ، غير أنه وَخم(٤١) الهواء ثقيل الماء . ثم رحل منه لا زال النصر بألويته خفّاقا ، وعدوه لا يرى في أمله إلا إخفاقا يوم الأحد تاسع عشره ، فنزل وقت الضحوة الكبرى عند قرية تُسمى **تاتدكلي**(٤٢) ، وهو موضع كثير التراب والعجاج(٤٣) ، واسع الشعاب والفِجاج(٤٤) ، غير أن الحر به وافر الأقسام ، شديد الالتهاب والاضطرام ، فقضينا يوماً أطول من ظل القناة ، وحيينا به وقتاً مُكدّر الحياه ، ولقد كنا نرجو بمغيب شمسه ، زوال بوسه ، وحضور أنسه ، فاستمر أثر الحر باقيا ، ولم نجد [١٥] له راقيا ، ثم رحل منه كُمِدَ(٤٥) حسودُه وعدوُّه ، وفارقه اطمئنانه وهدوُّه يوم الاثنين وهو العشرون منه ، فنزل ضحىً بمنزل يسمى **آيدين لي**(٤٦) ، وهو مرج واسع جداً ، غير مصطحب ويحيط به نهر ليس بالكبير ، وحُكم الحرّ لم يُنسج ، وإهابه لم يُسلخ ، والريح تهب سَموما ، وتُهدى إلى القلوب سُموما ، والغبار متراكمٌ متراكب ، تكاد أن

(٤٠) بَهَج : أفرح وأسرّ .

(٤١) وَخم : رديء أو سيئ .

(٤٢) تاتدكلي : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٤٣) العجاج : الغبار .

(٤٤) الفجاج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٤٥) كمد الرجل : مرض قلبه من الحزن .

(٤٦) آيدن لي Aydin : مدينة مشهورة تقع في غرب الأناضول ، وكانت عاصمة لدولة أبناء آيدن (آيدنلي) التي ظهرت عام ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م استطاع السلطان بايزيد الأول أن يضم أملاك إمارة آيدن للعثمانيين ما عدا مدينة أزمير التي تركها لعيسى بن محمد الذي حكم بها حتى عام ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م حيث ألحقها السلطان بايزيد ببقية بلاده .

لا تبين معه الشمس فكيف الكواكب . ثم رحل منه والسعد يَخدمه ، والنصر يلزمه ، يوم الثلاثا حادي عشريه ، فنزل ضحوة بمنزل يسمى **نبكي شهر**(٤٧) ، وهو مرج واسع ، والنهر الذي كان في المنزل قبله واصلٌ إليه ، وكان الحر فيه أقل مما قبله ، وقد أظهر الله لطفه وفضله [طويل] :

وهبّ نسيم الـروح مُنبَعِثا بمـا ... به الروح تحى بعد موتٍ وتبعثُ
وعاد إلى الأجسام رونق جسمها ... وكادت من قبـل تفـني وتُجدثُ
فأقسم لـو قال المبالغ إنمـا ... تنفّست النيـران ما كـان يُحنثُ

ثم رحل منه أدام الله أيامه ، وألزم النصر والتأييد أعلامه يوم الأربعا ثاني عشريه ، فنزل بمنزل [١٦] قريب من ذلك المنزل وينسب إليه . ثم رحل منه ثبّت الله قواعد دولته ، وأنفذ على أعدائه عظيم بطشه وصوْلته ، يوم الخميس ثالث عشريه فنزل بمنزل يسمى **درچك**(٤٨) ، ثم رحل منه والنصر يقدمه ، والسعد يخدمه يوم الجمعة رابع عشريه ، فنزل بمنزل **مرزا اغلي چابري**(٤٩) ، ثم رحل منه لا برح أمره نافذاً في الآفاق ، ولواءه بالنصر خفاقا ، وأمل عدوّه في اليأس والإخفاق ، يوم السبت خامس عشريه ، فنزل بمنزل يسمى شناي(٥٠) . ثم رحل منه خرق الله بدوام ملكه العوايد ، وثبّت من سعادة دولته

---

(٤٧) نبكي شهر : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٤٨) درچك : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٤٩) ميرزا اغلي چابري : الحرف الذي يلي الجيم والألف غير منقط في الأصل لذا فإن هناك احتمالاً بأن يكون أحد الحروف التالية : ب ، پ ، ن ، ي .

(٥٠) شناي : واسمها الصحيح چنه Cine وتقع في إقليم إيجه Ege bolgesi ، وهي قضاء Ilce تابع لولاية آيدن Aydin Ili ، وتبعد عنها مسافة ٤١كم ، وتبلغ مساحتها الإجمالية ١٢٢٩كم^2 ، ويتبع قضاء چنه ٨٤ قرية . لمزيد من المعلومات انظر : Meydan Larousse, C. 3, s 264.

القواعد يوم الأحد السادس عشريه ، فنزل بمنزل يسمى **ألجا حِصار**[٥١] ، ثم رحل منه مد الله ظلاله على الآفاق ، وجعل القلوب مجمعة على الطاعة له والوفاق ، يوم الاثنين سابع عشريه ، فنزل بمنزل يسمى **منتشا بُغازي**[٥٢] ، ثم رحل منه لا برحت أعلامه منصورة ، ولِطَيْ أعداء الله من الأرض منشورة ، يوم الثلاثا ثامن عشريه ، فنزل بمنزل يُسمّى **فكار باشي**[٥٣] . ثمّ رحل منه أدام الله سعده ، ورحم أباه وجدّه ، يوم الأربعا تاسع عشريه ، فنز بمنزل يُسمّى **قرا باغ**[٥٤] قريباً من قصبة تُسمّى **مُغلا**[٥٥] . ثم رحل منه لا برح سعده يتجدد بتجدد الأيام ، ودولته باقية على انقضاء الشهور والأعوام ، يوم الخميس وهو الثلاثون منه ، فنزل بمنزل يسمى **بازار كوي**[٥٦] ، ثم رحل منه لا زالت حركاته سعيدة الطوالع والغوارب ، وتنقلاته ميمونة ما أشرق شارق ، وغرب غارب ، يوم الجمعة مستهل شهر رمضان المعظّم قدره ، فنزل بمنزل يُسمى **كَكْوا**[٥٧] ، وطريقه من أصعب الطرق والمذاهب ، وأوعر السبل على ماشٍ وراكب ، جبال شاهقة في جو السما . ووهاد[٥٨] لاحقة بقرار الماء مع صعوبة المناهج ،

(٥١) ألجا حصار : كانت تتبع سنجاق صاروخان Sarohan التابعة لولاية آيدن .

(٥٢) منتشا بغازي Menteşe Boğazi : كانت تتبع ولاية آيدن ، أما اليوم فهي تتبع ولاية مغلا Muğla .

(٥٣) فكار باشي : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(٥٤) قرا باغ : ربما يكون المؤلف قد أخطأ في الاسم ، لأننا لم نصادف هذا الاسم ، وربما تكون قره آغاج Kara Ağaç وكانت تابعة لسنجاق دكزلي التابع لولاية آيدن أما اليوم فهي تتبع دكزلي أيضاً ، أو ربما تكون قره داغ Kara Dağ التي تقع غرب مغلا Muğla .

(٥٥) مغلا Muğla : مدينة مشهورة تقع في غرب بلاد الأناضول ، وهي ولاية بذاتها اليوم .

(٥٦) بازار كوي Pazar Koy : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة ، علماً بأن هناك العديد من القرى التي تحمل هذا الاسم ، ولكنها بعيدة عن المنطقة المذكورة .

(٥٧) ككوا Gokova : وهي بلدة تقع شمال مدينة مرمروس أو مرمريس .

(٥٨) الوهد : بالفتح ، الأرض المنخفضة .

ووعورة المدارج . وضيق المسالك الوعره ، وتشعّب الطرق الملوية المضجرة ، يكاد الراقي إلي أعلاها يتناول من السماء سُهاها(٥٩) ، والنازل إلي أدناها أن يبلغ من غاية الحضيض أقصاها ، وبما قاله الفقير في ذلك الحال ، والقلب زايد البَلْبَال [رمل] :

كم عقابٍ في عقاب دونها مر السحاب
[١٨] ليس للطير رقيًا فوقها حتى العقاب
حال من يرقي إليها كرُقيّ في اضطرابِ
كاد أن يكن من يرقى لها لمس السحاب
حارت الأفكار فيها بين هاتيك الشعاب
وانثنى العقل ضليلا بأسى تلك الهضاب
وَرَبا الكربُ ازديادا مذ بدت تلك الروابي
ودموع العين تجري بجفانٍ كالجوابي
يسدُرُ(٦٠) المرء فلا يقوى على ردّ الجواب
وإذا يهوى انحداراً صار في أقصى التراب
فعدول المرء عنها أبداً عين الصواب

ثم رحل عنه لا زال السعد يحاديه ، والعكس ملازم معاديه ، يوم السبت ثانيه ، فنزل بمرمروس(٦١) ، وهو بجانب البحر ، ومنه التعديةُ إلى جزيرة

(٥٩) السها : كوكب خفي من نبات نعش الصغرى ، ويضرب به المثل برؤية قوة البصر ، ويقال : أريه السها ويريني القمر ، أي أريه خفايا الأمور ويريني ظاهرها .

(٦٠) سدار : دوران الرأس بسبب البحر .

(٦١) مرمروس Marmaris أو Marmarus : تقع في إقليم إيجه Ege ، وهي قضاء ilce تابع لولاية مغلا Muğla Ili وكانت تتبع سنجاق منتشا التابعة لولاية آيدن في أواخر أيام الدولة العثمانية ، ويبلغ إجمالي مساحة قضاء مرمروس ٨٦٦كم٢ ، ويتبعها ٤٧ قرية ، وبها آثار تاريخية قديمة أهمها القلعة . (Meydan Larousse, C. 8, s 399) .

رودس ، ونُصبت الخيام بين تلك الهضاب والأكام ، وجاءت المراكب للتّعدية إلى ذلك الجانب ، وعدّت العساكر أفواجاً أفواجا ، وفرادى وأزواجا ، والتكبير والتهليل قد ملأ الأكوان ، وسُرّ به من [١٩] المسلمين الثقلان[٦٢] ، وهامت القلوب لقتال أعداء الله ، واستروح لذلك كلّ حليمٍ أوّاه ، وأُفردت المراكب للأكابر ، وازدحم الناس في طرق المعابر ، وفي يوم الاثنين رابعه ، ركب ملكُ البسيطة تنج البحر ، وقد أنزل الله عليه النصر ، وعلى أعدايه القهر ، وتبعه مراكبُ الوزرا ، والقُضاة والأمرا ، وارتج[٦٣] البحرُ من كثرة الطبول ، وانخلعت قلوبُ الكفار من ذلك اليوم المهول ، واستمرّ به السير والريح رُخا[٦٤] ، والقلوب مجمعة على المحبة له والأهوا ، إلى أن وصل إلى جزيرة رودس آخر ذلك النهار ، وقد غشى الخوف والكرب قلوب الكفار ، وأيقنوا بالحرب والويل ، حين رأوا جيوش الله منهمرةً عليهم كالسيل ، وتحققوا أن لا طاقة لهم بحربهم ، ولا منجاة لهم من خَطْبهم ، غير أن الشياطين إلى أوليايهم ، ويعدونهم ويُمنّونهم النّصر على أعدايهم ، «**وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**»[٦٥] ، «**ولا يجدون لهم من دون الله ولياً [٢٠] ولا نصيراً**»[٦٦] .

(٦٢) الثقلان : الجن والإنس .

(٦٣) ارتج : هاج .

(٦٤) الرُّخاء : بالضم ، الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً .

(٦٥) النساء (٤) ، آية ١٢٠ والإسراء (١٧) ، آية ٦٤ .

(٦٦) النساء (٤) ، آية ١٧٣ والأحزاب (٣٣) ، آية ١٧ .

[حصار قلعة رودس]

ونزل ملك الأرض في تلك الجزيرة بأيمن طاير وأسعد طالع ، وضُـرِبَتْ له السُّـرادقات(٦٧) في أنْزه الأماكن ، وأرفع المواضع ، وصَنَـعَ له النجارون مَنْظرةً من الخشب ، بديعةَ التركيب ، عجيبةَ التاليف والترتيب ، يُشرف منها على قلعة رودس ، وامتدت العساكر في طول الجزيرة وعرضها ، معلنين بالتهليل والتكبير ، مُجهرين بالتوحيد للرّب القدير ، وقد جاوبتهم ملايكة السموات والأرضين ، بتوحيد رب العالمين ، وسُـرّت تلك البقاعُ بما ملأ القلوب والأسماع ، وقال لسان حالها ما مقالها : ربّنا من كان سبباً لسماعنا أصوات توحيدك ، ولغات تقديسك وتمجيدك ، أيَدْه بتأييدك ونصرك ، وأذقْ أعداءه أليم عذابك وقسرك ، واجعلْ دولته مخلّدةً أبد الآبدين ، ووفّقْه لما وفّقت [٢١] له الخلفاء الراشدين ، والأيمة المهديين ، وأمده بملايكة الأرض والسما ، كما أمددت بهم يومَ بدر سيّدَ الأصفياء والأنبيا ، واجعل رقاب الكفار لسيوفه أغماداً ، ودمّره بتدبيره منهمً قُرى وبلاداً ، وامنحه عُمراً طويلاً يبسط كلمة توحيدك في بسيط الأكوان ، ويطأ بسنابك خيله من ممالك الكفار ما أعجز ملوك الزمان ، وهب له سَعَة مُلكٍ تبْهر العقول والأذهان ، حتى يقول الناس ذاك نبي الله سليمان ، وهذا ولي الله سليمان ، وكان مصطفى باشا قد سبق قدومه إلى تلك الجزيرة بالمراكب ، ورجفت قلوب الأعداء من اصطفاق تلك البيارق ، وازدحام تلك المراكب ، ودخلوا بأبهة عظيمة المنظر ، وزينة تدهش العقول وتبهر ، وراسلوا القلعة بتحيّات البارود ، وأيقن من فيها أنه اليوم الموعود ، وتلا لهم لسان الحال [٢٢] «وما نؤخرهم إلا لأجلٍ معدود»(٦٨) وتبخترت على بسيط البحر الجواري

(٦٧) السرادق : الخيام .

(٦٨) هود (١١) ، آية ١٠٤ .

المنشئات ، كما تبختر على بسيط البر الجواري الناشئات ، وأشارت إليهم أيدي المجاديف بأنواع الأراجيف[٦٩] ، ودهمهم ما لم يكن لهم ببال ، وأرتهم شهب نجومها ظُهرا ، ما لم يروه في سواد الليال ، وخفقت قلوبهم لخفق راياتها ، وظهر عليهم أثرُ الرعب لظهور آياتها ، ثم إن المراكب اصطفت في جوانب الجزيرة وهي على أهبةٍ وأوفر عدّة ، وعلى نهاية القوة والشدّة ، وانفرد منها قسم للسَّيَران في جوانب البحر من جهة أعداء الله الكفار ليمنعوهم من الهرب ، ويمنعوا عنهم الميرة والجلب ، وبرز الأمر الشريف بالإحاطة بالحصن ومحاصرته ، والنهضة في شان الإسلام ومناصرته ، فأحاطوا به إحاطة الخاتم بالإصبع ، ولم يكن منهم لأمر الله مردٌ ولا مدفع ، واختار كل واحد [٢٣] من الوزرا أدام الله دولتهم وسعادتهم ، وحرس مجدهم وسيادتهم ، مكانا من الحصن استعد فيه للحصار ، وأعدّ فيه لأعداء الله الهلاك والبوار ، وركّبوا عليه المكاحل والسبقيّات من كل جانب ، وصاروا بشهب البارود يقذفون من كل جانب «**دحوراً ولهم عذاب واصب**»[٧٠] ، وكانت أسوار الحصن عريضة بحيث إن بعضها قيس بعد الفتح وكان سبع خطوات مع مدّ الرِّجل إلى نهايتها ، فاقتضت الآراء وارتفعت الأهواء على أن يُحفر من كل جانب من الأرض طريق إلى جهة الخندق ، ويساق التراب المحفور إليه قليلاً قليلاً ، بحيث يكون التراب ستراً من وصول الرمي ، إلى أن يصلوا إلى الخندق ، ثم يُلقى الترابُ فيه ليتوصلوا بذلك إلى السور ، ويتمكنوا من نقبِهِ، فشرعوا في ذلك ، وكان أقوى الناس في ذلك همّة وأشدهم شكيمة ، وأحرصهم على جهاد أعداء الدين ونصرة الإسلام والمسلمين [٢٤] مولانا الوزير الأعظم ، والسيد المبجل المكرم

---

(٦٩) الأراجيف : الأخبار الكاذبة السيئة .

(٧٠) الصافات (٣٧) ، آية ٩ .

أحمد باشا[٧١] ، لا زالت دولته مخلدة ، وسعادته مؤبدة ، ما قام بنصرة دين الله قايم ، واشدت في جهاد أعدايه العزايم . فإنه شمّر عن ساعد الجد والاجتهاد ، وحرّض على ذلك المؤمنين من العباد ، وسهر في ذلك الليالي العديدة . وبذل طريقة النفيس [؟] وتليدة ، ولم يتغيّر عن اجتهاده في بعض الأيام ، ولم يشغله شيء عن الجد والاهتمام ، بل زاد في ذلك قيامه ، وكثُرَ جدّه واهتمامه ، وكذلك يكون وزير الصدق ، ذو الهمة والنصيحة ، والشفقة والرفق ، لا برح المُلك بتدبيره ، حَسَن النظام ، والرعايا راتعين منه في مراتع الجود والإنعام ، بدوام دولة سلطان الإسلام ، وكذلك مولانا الوزير أحمد باشا لم يأل جُهداً فيما يغيظ الكفار ، وجعل ذلك واضحاً في النهار ، وباشر بنفسه الأعمال الشاقة ، مُعداً أجور ذلك ليوم الحاقّة ، ولعمري لقد بلغ في أعداء الله من النكاية [٢٥] إلى أقصى غاية ، فكانت ترعُد قلوبُهم من اسمه ، ولا تمنعهم دروع حيله من نفوذ سهمه ، وقد كاد أن يوصلَ إلى فتح حِصنهم عنوة ، ويبلغ من رفيع معقلهم إلى أعلاه ذروة ، لولا ما لجأوا إليه من طلب الأمان عند معاينة غلبة

---

(٧١) هو أحد مماليك السلطان سليم الأول ، وهو أرناؤوطي الأصل ، عند فتح مدينة بلغراد كان بكلر بك (أمير أمراء) على الأناضول . عُين وزيراً ثالثاً في الدولة العثمانية عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م ، وفي عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م عُين والياً على مصر بناءً على طلبه ، ولما وصل إلى هناك سوّلت له نفسه أمراً ، فأعلن تمرده على الدولة ونادى بنفسه سلطاناً ، إلا أن أنصار وعساكر السلطان سليمان أحاطوا به ففر إلى عربان الشرقية ولجأ عند عبدالدايم بن بقر فسلّمه للعساكر السلطانية ، فقطعوا رأسه وطافوا به شوارع القاهرة وعلّقوه على باب زويلة ثم أرسلوا رأسه للقسطنطينية ، لذا فهو يُعرف بالكتب التاريخية باسم الخائن . لمزيد من المعلومات حول أحمد باشا انظر : إبراهيم پچوي ، پچوي تاريخ ، جـ ١ (استانبول ، ب . ت .) ص ٧٩ - ٨٠ ، ومحمد ثريا ، سجّل عثماني ، جـ ١ (استانبول ، ١٣٠٨) ص ١٩٦ ، والنهروالي ، الإعلام ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

حزب الرحمن ، جعل الله أجرهم من الجهاد موفورا ، وسعيهم في مرضاة الله مشكوراً ، ودولتهم دايمة ما دارت الأفلاك ، وسبّحت الأملاك ، هذا والعسكر المنصور يناوش من في الحصار القتالَ بالبندقيّات ، ويراسلونهم على يد البارود ، بما يلايمهم من التحيات ، ويُصاب من المسلمين من سبقت له السعادة ، وكُتبت له الشهادة ، وتتلقى الملايكة أرواحهم بالروح والريحان ، وتفتح لهم أبواب الجنان ، وقد أثر في الأسوار أثراً بيّنا ، وفعل في معاقلهم وصياصيهم فعلاً حسناً ، وكان أشد ما عليهم المكاحل الهوائية ، إنها كانت تنزل عليهم ، وتطرق ساحتهم كأشد ما يكون من الطوارق ، بل تأتي [٢٦] إليهم كالريح العقيم ، «**ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**»[٧٢] ، ويُسمع لهم عند وقعها ضجيج عال ، وزفير متوال ، وقد أتلفت كثيراً من أنفسهم ومواشيهم ، وأتت على عزيزٍ من أطرافهم وحواشيهم ، ولقد كانوا يستعملون في أعمالها الشاقة أسرى المسلمين ، ويتلقّون بهم البندقيّات ، والمكاحل الواردة عليهم من عسكر الموحّدين ، فهلك بذلك من الأسرى خلقٌ كثير ، وجمٌّ غفير ، سوى الأسرى الذين ضربوا أعناقهم عند قدوم المراكب الإسلامية ، أَنَفَةً منهم لدينهم المعوجّ ، وحميّة وخوفاً من وثوبهم عليهم عند حضور عسكر الإسلام ، فنقلهم الله من دار الشقاوة إلى دار السلام ، على يد الكفرة اللئام ، ولم يزل العمل في حَفر الأرض مستمراً إلى أن وصلوا بالتراب إلى حافة الخندق ، فكان من كل ناحية كالطود العظيم ، ثم ألقوه في الخندق مع كثير من الحجارة والأخشاب ، إلى أن تمكنوا من الوصول إلى جدار السور الذي ظاهره وباطنه من قبله العذاب ، [٢٧] وعند ذلك أخذوا في نقب السور ،

(٧٢) الذاريات (٥١) ، آية ٤٢ .

ليتوصلوا إلى أهل الخزي والفجور ، ووصل مدد من جهة الأمير خير بك[٧٣] سنجق الديار المصرية في نحو ثلاثين من المراكب مشحونة بالعُدَد وآلات الحرب والصنّاع ، وبها ميرة كثيرة ، وسكّرٌ كثير ، وبها من الجراكسة المقاتلة جمعٌ كبير .

وفي يوم الثلاثا ثالث شهر ذي القعدة الحرام برز الأمر الشريف بالزحف على الحصار ، يوم الأربعا رابعه ونادوا بذلك للعساكر المنصورة ، وأباحوا لهم أموال الكفار ، وفُرّقت الخُوذ وآلات الحرب على العساكر المنصورة ، وبادروا بكرة نهار الأربعا بهمّة وعزيمة ، ونيّاتٍ مستقيمة ، لا تأخذهم في الله لومة لايم ، بل يهيمون للقاء الكفار أغراهم الهايم ، وأقبلوا في سوابغ[٧٤] الدروع يَرفُلون ، «**ومن كل حدبٍ ينسلون**»[٧٥] ، وقد لمعت أسنّة بوارقهم لَمَعان البروق ، وخفقت بيارقهم فأوْرثت قلوب الكفار الخُفُوق ، وصارت نيرانُ بندقياتهم «**إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ [٢٨] سمعوا لها تغيّظاً وزفيرا**»[٧٦] ، وفي

(٧٣) كان خاير بك أحد قادة المماليك ، تولى نيابة حلب قبيل موقعة مرج دابق ، وكان على اتصال بالسلطان سليم ، وأثناء المعركة انسحب خاير بك إلى السلطان سليم ، وخان بذلك السلطان المملوكي قونصوه الغوري ، وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى هزيمة المماليك في الواقعة (محمد بن طولون ، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق وتقديم عبدالعظيم خطاب القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤١) ، ونتيجة لذلك فقد عينه السلطان سليم نائباً على مصر في يوم السبت ١٢ شعبان ٩٢٣هـ/ ٣٠ أغسطس ١٥١٧م ، وظل والياً عليها حتى وفاته . انظر : ابن إياس ، بدائع الدهور في وقائع الدهور ، جـ٥ (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٢٠٣ .

(٧٤) سوابغ : تامة وطويلة .

(٧٥) وأصل الآية : «وهم من كل حدَبٍ ينسلون» الأنبياء (٢١) ، آية ٩٦ .

(٧٦) الفرقان (٢٥) ، آية ١٢ .

قبضتهم «**إذا ألقوا منها مكاناً ضيّقا مقرّنين دَعوا هُنالك ثُبورا**»[٧٧] ، ويناديهم لسان الحق ، «**لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**»[٧٨] ، وعندما وصل حزب الله إلى السور ، وثب حزب الشيطان الكفور ، واهتمّوا بالمنع والدفع ، ونصبوا مخفوض أعلامهم جازمين ، لما وضعه الله بالرفع ، وأوقدوا على حافة السور نيراناً كثيرة ، وأكثروا من القذف بقدور القطران والزفت في وجوه المسلمين ، فأتوا بكل كبيرة «**يريدون ليطفئوا نور لله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتم نوره**»[٧٩] ، وصبر المسلمون لأولئك اللئام ، صبر الكرام ، وهلك من هلك من المسلمين ، ونُقِلت أرواحهم إلى عليّين ، وانفصلت الحرب على غير طائل ، وانقبض من الفتح أمَل الأمل ، وفي يوم الجمعة سادسه ، عُمل ديوانٌ لطيفٌ بسبب ذلك ، وفي يوم الأحد ثامنه ، هرب كافرٌ من الحصن فحُمل إلى الديوان ، وأخبر بأن الكافرين في وجلٍ عظيم ، وحصر شديدٍ [٢٩] أليم ، وأن آلات الحرب عندهم متوفرٌ عددها ، غير أن المأكل انتهى عنهم مددُها ، وأنهم قُتل منهم جمعٌ كثير ، وانتقلت أرواحهم إلى السّعير ، وأن المسلمين لو صبروا قليلاً لملكوا الأسوار ، واحتووا على الكفار ، وأنهم جمعوا ما بالرّبض[٨٠] من الأمتعة والنساء والولدان ، ورفعوه إلى الحضر [؟][٨١] ، خشيةً من العدوان ، واستعدوا للهرب إليه عند وصول الموحدين إلى الرّبض واستيلائهم عليه ، فأُنعم على ذلك الكافر ، وأُلبس قَفْطانا ، واهتم الوزراء بالاجتهاد في المحاصرة

(٧٧) الفرقان (٢٥) ، آية ١٣ .

(٧٨) الفرقان (٢٥) ، آية ١٤ .

(٧٩) التوبة (٩) ، آية ٣٢ .

(٨٠) الربض : ما حول المدينة من بيوت ومساكن .

(٨١) الحضر : داخل المدينة .

والمحاربة ، والتوصل إلى الاستيلاء والمغالبة ، ثم إن مولانا الوزير أحمد باشا أمر بنقب جدار السور الذي يليه ، فنقبوا تحته نقباً كبيراً ، ثم وضعوا تحته من الأحطاب شيئاً كثيراً ، وأوقدوا فيه النار ، ثم رموا عليه بالمكاحل الكبار ، فصافحته يد الحراب ، ووجدوا وراءه كثيراً من التراب ، فشرعوا في تعزيله ونقله وتحويله ، ليتمكنوا منه إلى الوصول ، ويتوصلوا بإخراجه إلى الدخول ، وفي يوم الأربعا ، [٣٠] ثاني شهر ذي الحجة الحرام ، ورد مركب صغير من مصر ، وأخبر من فيه بوفاة خير بك ، سنجق مصر ، وأحضروا سيفه ، فعُمل الديوان يوم الخميس ثالثه ، ولم يتعيّن أحدٌ لسنجق مصر ، ثم عُمل الديوان يوم الجمعة رابعه ، وعُين مولانا مصطفى باشا لسنجق مصر ، مع بقائه على الوزارة ، وفي أثناء يوم الجمعة المذكور ، تكدّر الجو ، وتغيّر النّو[٨٢] ، وأنذر بهجوم المطر ، ونبّه منه على الحذر ، ثم لما أسبل الليل إزاره ، وعمّ ظلامه الوجود ، وأقطاره بدرت بوادره ، وتكدّرت حلاوة العيش مرايره ، ثم لمّا اكتهل من الليل شبابه ، قويت أسبابه ، وتواتر جَوْنُهُ[٨٣] ورَبابُه[٨٤] ، وطار النّوم من وكر العيون ، وتفجّرت من الأرض العيون ، وانثنى المُقلُّ بصفقة المغبون ، عندما أسفر وجه الصباح ، وحَيْعَل الداعي إلى الفلاح ، زاد وجه الجو اكفهرارا[٨٥] ، [٣١] وأرسلت السماء علينا مدراراً ، فسالت الأودية بقدرها ، وانثالت بحَجَرها ، وكاد السيل يبلغ الزُّبى ويذيق النفوس ويلاً وحربا ، لولا ما حفّ من اللطف بكفّهِ ومنعِهِ عن ذرفه ووكْفِه، ثم لما انْهار عُمُر ذلك النهار ،

(٨٢) النو : الطقس .

(٨٣) جوْن : أبيض أو نهار .

(٨٤) رباب : السحاب الأبيض .

(٨٥) اكفهرّ : أي اسودّ وعبس .

عاد الجو إلى تغيّره ، ورجع الفكر إلى تحيره ، وذرفت أعين الغمام ، وذهب الصحو بسلام ، ثم لما احلولك من الليل الإهاب ، ومدّ من خيام سواده الإطناب ، قوِي عزم القَطْر ، وتتابع منه الهمَل[86] والهمْر ، وأذكى[87] البرق سُرُجَه النيّرة ، حتى إنه ليُرى من وقته كالليلة المقمرة ، وغاضب النوم المُقَل ، وعزّ وجود النائم في تلك الليلة وقلّ ، إلى أن سُلّ صارم الفجر من قِرابه ، وتجلى النهار في جوهري إهابه ، تفرّق الغيم[88] قليلاً قليلا ، وقالت نجوم الدجى لكوكبه وقد استبطأ سيرها ، «**إنّ لك في النّهار سبْحاً طويلاً**»[89] ، وعاد وقت الصحو إلى حاله ، وانفصل الغيم بأحواله وأوحاله ، وفي [٣٢] يوم الاثنين سابعه ، ركب مصطفى باشا للتوجه إلى مصر في الجواري المنشئات ، وتوجّه معه غالب من حضر من مصر من أصحاب الحرف والآلات ، وبلّغ القدر نفوس طالبي الأوطان متمنّاها ، وقال : «**اركبوا فيها باسم الله مُجراها ومرساها**»[90] ، وفي يوم الثلاثا ثامن عشر ذي الحجة ، هرب من أسرى المسلمين الذين برودس جماعةٌ ، وأخبروا بما هم فيه من الحَصْر والضيق ، وهذا وقد انكشف السور ، وظهرت جُدرانات الدّور ، وصاروا كلما تقدّم إليهم المسلمون يتقهقرون ويتأخّرون ، وعلى أعقابهم ينكصون[91] ، وهم مع ذلك يُظهرون القوة والمنَعة ، وقد صَرَمَ الخوف حبل صبرهم وقطَعَه ، ويتجلّدون ولم يبق لهم جلَد ، ويتناصرون وهم مخذولون إلى الأبد ، ويستغيثون بالصليب والأحَد ، والمسلمون مستمسكون بـ «**قُلْ هو الله**

(٨٦) هملت السماء : أي دام مطرها .

(٨٧) أذكى : أشعل أو سعّر .

(٨٨) الغيم : السحاب .

(٨٩) المزّمل (٧٣) ، آية ٧ .

(٩٠) هود (١١) ، آية ٤١ .

(٩١) ينكصون : يرجعون .

أحد»[٩٢] ، يعدهم الشيطان ويمنّيهم على ألسنة رُهبانهم وقسيسهم ، فهم في ظلمات الغواية يعمهون ، وفي مراتع البغي يرتعون ، [٣٣] «**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون**»[٩٣] ، غرّهم الإمهال ، وخدعتهم الآمال ، فحرصوا على استدامة الحياة ، «**وظنّوا أنّهم مانعَتُهم حُصونُهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب**»[٩٤] ، فقُهروا وغُلبوا . وفي يوم السبت عاشر المحرم ، برز الأمر الشريف بالزحف عليهم ، وتَقريْب مَنَاياهم لا مُناهم إليهم ، فتقدم إليهم العسكر المنصور ، وأيقن الكفار بالويل والثبور ، ووقفوا بين البيوت متسترين بالجدران ، وقاتلوا أشد قتال البندق والنيران ، فكفّ المسلمون عنهم لما يريده الله من التدبير ، ولما لهم من المهلة في سابق التقدير ، هذا والمسلمون مجتهدون في حفر الأرض ، والتوصل إلى ما يغيظ الكفار ، حتى وصلوا إلى ما وصفهم الله تعالى بقوله : «**لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرىً محصّنةٍ أو من وراء جدار**»[٩٥] . ثم في يوم الأربعا حادي عشريه ، خرج من جانب الكفار شخصٌ مستأمنٌ ومعه مكتوب ملخّص ما [٣٤] فيه طلب الأمان ، فبات الناس ليلة الخميس في فرحٍ وسرور ، وغبطة وحبور ، وفي يوم الخميس ثاني عشريه عُمل الديوان ، وبرز الأمر الشريف لهم بالأمان ، فحضر من عندهم اثنان ، وقبّلا العتبة الشريفة ، وأُلبسا قفطانين ثم ذهبا للمشاورة ، فعُوّق أحدهما ، وأُطلق الآخر ، فمضى ذلك اليوم ولم يقع شيء ، ثم مضى يوم الجمعة ثالث عشريه على ذلك وهم يسوّفون من وقت لآخر ،

(٩٢) الإخلاص (١٠٢) ، آية ١ .

(٩٣) الشعراء (٢٦) ، آية ٢٢٧ .

(٩٤) الحشر (٥٩) ، آية ٢ .

(٩٥) وردت خطأ هنا والأصح « . . . أو من وراء جدر» الحشر (٥٩) ، آية ١٤ .

وفي يوم السبت رابع عشريه برز الأمر الشريف بالرمي عليهم ، والاجتهاد في الوصول إليهم إن لم يسلّموا البلد ، وهم في كل ذلك متحصنّون ، ويفعلون ما لم يكونوا منه حال المحاصرة يتمكنون ، والناس من ذلك يعجبون لتباين أحوالهم وتغايرها .

وتلايم أقوالهم وتنافرها ، ثم إنهم طلبوا المهلة عشرة أيام ، فتبين بذلك مكر الكفرة اللئام . وأنهم ينتظرون بذلك ما تخيله لهم الأحلام . ويأبي قبوله أولو الأحلام . ويترجّون نُصرةً تأتيهم [٣٥] من جانب الكفار . ويؤملون ما عكسته لهم يد الأقدار . فبرز الأمر الشريف بإعادة المحاصرة عليهم ،فأعيد ذلك يوم الأحد خامس عشريه واستمر الرمي متصلاً بين الفريقين غير أن بعض الكفار يخرج بالأمان ويتحدث مع الوزراء بما يؤول إليه صلاح الحال والاطمئنان ، واستمر الحال على ذلك إلي آخر يوم الخميس سلخ المحرم ،فأذعنوا للانقياد وتسليم الحصن بشروط اشترطوها : منها أنّ كبيرهم لا يكلّف إلي التوجه إلي الديوان وتقبيل العتبة الشريفة ، ومنها أن لا يدخل الحصن أحد من المسلمين ما داموا فيه ، ومنها أن تصلح مراكبهم ليتوجهوا فيها بأموالهم وذراريهم فأجيبوا إلي ذلك ، وفي يوم الجمعة مستهل شهر صفر الخير عمل الديوان ، وحضر منهم جماعة وألبس اثنان منهم قفطانين ، ومن ثم وضعت الحرب أوزارها وأطفأ الله من فتنة الكفار نارها ، وشرعوا في التأهب للرحيل . وفي أفئدتهم نيران [٣٦] العذاب الوبيل ، ولقد كان الحصن مأخوذاً عنوة لولا ما لجأ إليه أهله من طلب الأمان وتمسك ذل كفرهم بعز الإيمان . فذلّت أعناق جبابرته وأخذوا بنواصيهم .وأنزلوا من معاقلهم وصياصيهم . وتبدّل التثليث بالتوحيد . وتغير الاشراك بالتقديس والتمجيد .

وخَرَس الناقوس ونطق الأذان . ونُسخ حكم الإنجيل بآي القرآن . وتفرّق شمل الصلَيب بعد الاجتماع ، وخلا الجهر بالإشراك من تلك البقاع ، وضرب الإسلام فيها سرادقه ، ونشر التوحيد بأرجايها أعلامه وبيارقه(٩٦) . وأُبْلسَ اللعين إبليس . وخزِيَ الراهب والقسيس ، وذهب رسْم الكنيسة والبيعة . وظهر اسم الجماعة والجمعة ، وهَمِدت جَلَبَة الكفر بغلبة الإيمان فلا تحسّ لها حساً ، **«وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً»**(٩٧) ، وأصبح روض الحق مُزهر [٣٧] الأرواح ، ورقصت أغصان الأنس حين صفّقت من العدل الرياح ، وغرّد قُمري(٩٨) السرور ،فجاوبه بلبل الفرج والشُّحرور(٩٩) ، وظهرت مظاهر العزة وتبيّنت ، وأخذت أرض العوارف زُخرفها وازيّنت ، ورأى العدو الأزرق الموت الأحمر ، حين أسودّ عيشه الأبيض ببارق الحديد الأخضر ،واغبرّ وجهه الأصفر ، بصولة الصقيل الأبتر ، وامتلأ الموحدون ذلك اليوم سروراً ، **«وكان يوماً على الكافرين عسيراً»**(١٠٠) ، وأنجز الله وعده السليماني لما كانوا في ظلمات طغيانهم يعمهون ، حين قال : **«فَلَنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها ولنُخرجنّهم منها أذلّةً وهم صاغرون»**(١٠١) ، فلله الحمد والمنّة على هذا الفتح المبين ، والنصر الذي لا يوجد له في العالم قرين ، جعل الله أجره مضاعفاً للموحدين ، [٣٨] ومُضْعِفاً لأهل الشرك الملحدين ، وأدام دولة سلطان العالم ليفتح كل وقت من

(٩٦) بيارق : مفردها بيرق وهي تركية بمعنى راية أو علم .

(٩٧) طه (٢٠) ، آية ١٠٨ .

(٩٨) قمري : نوع من أنواع الحمام حسن الصوت .

(٩٩) الشحرور : طائر أسود اللون منقاره أصفر طويل ، وهو أكبر من العصفور وحسن الصوت .

(١٠٠) الفرقان (٢٥) ، آية ٢٦ .

(١٠١) النمل (٢٧) ، آية ٣٧ .

حصون الكفر فتحاً ، ويُعيد ليل الكفر بنور الإيمان صُبحاً ، وفي يوم الاثنين رابعه برز الأمر الشريف بضبط الأسرى من المسلمين ، وإطلاقهم إلى حال سبيلهم ، والإحسان إليهم ، فشُرع في ذلك وهم يخرجون أفواجاً وفرادى وأزواجا ، ويُعلنون بكلمة التوحيد التي طال ما [كذا] أخفوها ، ويواصلون شعائر الإسلام التي كانوا من خوفهم هجروها وجفوها ، والنساء والجواري المأسورات يظهرن الفرح والاستبشار ويحمدن الله على ما أنعم به من هذه النعم الغزار ، والناس يبكون سروراً ، ويوسعون المأسورين بعد ضيقهم خيراً كثيراً ، وكان فيهم من له اثنتا عشرة سنة ، ومن له أكثر من ذلك ، ومن له أقل ، فمنَّ بخلاصهم المولي عز وجل . وخرجوا على غايةٍ من ضعف الأبدان ، [٣٩] واصفرار الألوان . وفيهم من لا يقدر على المشي لورم رجليه من القيد . وما لقيه من الذل والكيد ، فلو لم يكن من نتايج هذا الفتح المبين . إلا خلاص هؤلاء المساكين . لكان ذلك من أعظم المصالح التي يتحراها ولي الأمر . ومن أجل المهمات التي يمشي لها ولو على الجمر ، فإنهم يذكرون من أحوالهم مع الكفرة ما تقشعرّ من سماعه الأبدان . فكيف حال المكابِدِ لذلك والمشاهد له بالعيان . غُلٌّ ثقيل ، وعذاب وبيل . وقسوة في القلب لا تلين . وعداوة لا ترجع إلي ودٍّ ولا تستكين . لا يدْعُون الأسير إلا باسم الكلب . ويقصدون وجهه بالألم والضرب . يبيتون بليلةِ نابُغيّة(١٠٢) ، وأحزان يعقوبية(١٠٣) . لا يجدون موئلاً ولا

---

(١٠٢) ليلة نابغية : مثل يضرب في ليلة الهم والأرق ، لما يلاقيه الإنسان من شدة الأحزان والشدائد ، وفي ذلك إشارة إلى قول النابغة الذبياني :

كليني لهمٍ يا أميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

(١٠٣) أحزان يعقوبية : إشارة إلى سيدنا يعقوب بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام حينما فقد أحب ولديه إلى قلبه يوسف وأخيه الأصغر .

مُنجداً ، ولا يلقون مُسعفاً ولا مُسعداً ، ليس لهم غير الدمع الحميم من حميم . ولا غير الحال الشقيق من شقيق . يتقلّبون [٤٠] من الكرب على جمر القضا(١٠٤) . ويصبرون لما حل بهم من البلاء والقضا . ويتضرعون في السر إلي عالم السراير . المحيط بما تكن الضماير . في كشف ما بهم من السراء والضراء ، ونقلهم إلي حالة النعماء والسراء ، لا جرم أن الله استجاب دعاءهم . وأجاب نداءهم . وقيّض سلطان العالم . وسيد ملوك بني آدم . إلي الانتهاض في ذات الله وجهاد أعدائه . وخلاص المسلمين من شر هذا الحصن وعدوائه . ففتحه الله على يديه . وجعل أجره مساقاً إليه بما ادخره له من القدم ، وكتبه له فيما جري به القلم . وذوي عنه همم الملوك السالفة وعزايمهم ، وأمهل من فيه ليستوفوا مظالمهم وجرايمهم ، وجعل لهم أيداً . . .؟(١٠٥) لا ريب فيه . ووهبهم أجلاً يستقضيه كلٌ منهم ويستوفيه . حتى إذا انتهت المده ، وانقضت العده ، وجاء اليوم [٤١] الموعود ، وحان الوقت المشهود ، أيقظ لهم أكبر الهمم ، من سيد ملوك العرب والعجم ، سليمان الزمان ، وخاقان(١٠٦) العصر والأوان ، صفوة آل عثمان ، فخرّب ديارهم ، ومحا رسومهم وآثارهم ، وشفى منهم غيظ البرية ، وخلّصهم من شر هذه البليّة ، التي انتشر خبرها في الآفاق ، وتسامرت بأحاديثها الرفاق ، خلّد الله دولته أبد الآبدين ، وجعل سيفه مغمداً في رقاب المعاندين ، إلي يوم الدين فإنه نصره الله اعتدَ مَسْعاه في طاعة الله غُنَما ، إذا كانت مساعي الملوك غُرَماً ، وصل السير بالسُري ، وطرقهم كما يطرق

(١٠٤) القضا : شجر من الأثل ، وهو من أصلب أنواع الخشب ، والجمرة منها تظل مشتعلة فترة طويلة لا تنطفئ ، ويقال : على أحر من جمر القضا ، أي في حالة لا تطاق .

(١٠٥) غير واضح في الأصل .

(١٠٦) خاقان : تركية الأصل بمعنى سلطان .

الطيف الكَرَي[١٠٧] ، وأوطأهم حوافر الخيل ،وجاءهم مجيء السيل ، وظَلّل عليهم ظُلَلَ الغَم ، وغشيهم منه ما غشي فرعون وجنوده من اليمّ ، مع كون حصنهم قد جمع له مَنَعة البر والبحر ، وحل منها بين السحر والنحر ، لم يظفر به ملك من ملوك [٤٢] الإسلام ، ولا طرقته خيلهم في اليقظة ولا خيالهم في المنام ، فأحاطت به رجال الحرب ، وشافهته بخطاب الخطب ولم يزل القتال يَنوبُهم ، وسهام المنون تُصيبُهم ، والمكاحل تذلّل سوْرتَهم[١٠٨] ، وتُسكّن فورتهم ، وترميهم بنجومها وتصميهم برجومها ، وتقذفهم من كل جانب دحورا ، وتعيد كلاً منهم مذموماً مدحوراً[١٠٩] ، وتشير إليهم بالسلام لا بالتسليم وتنتابُهُم «**فما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**»[١١٠] ، وترميهم بعذاب واصب[١١١] ، وتطهمُ إلى هم ناصب ، إلي أن لجأوا إلي ظل الأمان ، وتمسكوا بعروة أهل الإيمان ، عندما يئسوا من السرور «**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**»[١١٢] ، «**وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور**»[١١٣] . وسألوا أن يؤخذ بالسِّلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسَّطوة ، وألقي [كذا] طاغيتهم بيده إلي التهلكة ، وعلاه ذلّ المَلَكة بعد عزّ المملكة ، وتشظَّت قناتُه شقَقَا ، وطارت فِرَقُه فرَقا ، وفُلّ سيفه فصار عصا ، وصُدعت حَصَاته بعسكر كعدّ الحصى ، وعُثرت قَدَمه فكانت الأرض لها حَليفة ، وغضَّت عينُه وكانت عيون السيوف

(١٠٧) الكرى : الناعس .

(١٠٨) سورتهم : بناء طويل مرتفع أي القلاع .

(١٠٩) مدحورا : مطرودا .

(١١٠) سورة الذاريات (٥١) ، آية ٤٢ .

(١١١) واصب : عذابٍ دائم .

(١١٢) سورة الممتحنة (٦٠) ، آية ١٣ .

(١١٣) والأصح «**حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**» سورة الحديد (٥٧) ، آية ١٤ .

دونها كثيفة ، ونام جِفنُ سيفه وكانت يقظته تُريقُ نُطُف الكري [كذا] من الجفون ، وجُدِعت أنوفُ رماحه ، وطالما كانت شامخة بالمني أو راعفة بالمنون ، وقد علم نصَرَه الله حين عُرِض على شريف مسامعه ، ما لجأوا إليه من طلب الأمان وما ركنوا إليه من مطامعه ، أنهم إن لم نحصل لهم الإجابة ، ولم يقع لسهم أملهم من ذلك الإصابة ، ثم هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، ربما حملتهم الحميّة ، على قتل النساء والذريّة ، بعد قتلهم أسري المسلمين وإذاقتهم العذاب المُهين ، ثم يستقتلون بعد ذلك فلا يُقتل خصمٌ إلا بعد أن ينتصف ، ولا يُفك سيفٌ [٤٤] من يد إلا بعد أن تنقطع أو تنقصف ، فقبل منهم ما بذلوه من الانقياد وهم صاغرون ، وانصرف جيش الإسلام عن قدرة وهم ظاهرون وفاز ملك البسيطة منه بذكرٍ لا يزال الليل به سميراً ، والنهار به بصيراً ، والشرق يهتدي بأنوارِهْ ، بل إن بدا نورٌ من ذاته هتف به الغرب بأن وارِهْ ، فإنه نور لا تكِنُّه أغشاقُ السُّدُف[١١٤] ، وذكرٌ لا تواريه أوراق الصحُف .

[دخول قلعة رودس]

ثم برز الأمر الشريف بإرسال السَنْجق السنجق[١١٥] المنصور ، واللواء الذي هو لِطيّ الكفار منشور ، ليوضع على سور القلعة ، بشامخ العزة والرفعة ، فذهبوا به على نهاية التعظيم وغاية الإجلال والتكريم ، والعساكر الإسلامية به مُحدِقة ، وعيون المسلمين إليه مُحَدِّقة ، وعيون المشركين مطرقة ، وأصوات

(١١٤) أغشاق السدف : الظلمة .

(١١٥) السنجق : وردت في بعض الوثائق العثمانية بسنجاق ، وهي فارسية الأصل بمعنى اللواء .

الطبول والبوقات قد ملأت النواحي والجهات ، والأصوات مرتفعة بالتهليل والتكبير ، والصلوات والتسليم على سيدنا ومولانا محمد البشير النذير ، والسراج المنير ، وقلوب أعداء الله من ذلك في أحرٍّ من نار السعير ، [٤٥] ولم يزالوا به سايرين ، وقد أصبحوا على أعداء الله ظاهرين ، إلى أن وضعوه من الحصن بأعلى [كذا] مكان ، وأعلن المؤذنون للظهر بالأذان ، وأجابهم من المسلمين الثقلان ، أعني الجن والبشر حتي الشجر والحجر والمدر ، وكانت ساعة مشهودة ، وفي مواسم الأيام معدودة ، وليس الخبر كالعيان ، ولا يقدر على تأدية وصف ذلك بديع بيان ، ولما أُدخل السَنْجق الشريف دخل معه كثيرٌ من العساكر ، وجمٌّ غفير من القبايل والعشاير ، واتخذوه من أحبّ المواطن ، واقتسموا منه المساكن ، وذهب ما كان يضمره المشركون ، «**فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون**»(١١٦) ، وبرز الأمر الشريف بأخذ أسلحة الكفار ، وإلباسهم شعار الذلّة والصَّغار ، فسُلِبوها بأسرها ، وقُلّها وكُثرِها ، حتي أُخذت منهم السكاكين ، وصاروا بعد العز المكين ، إلى ذل الخايف المستكين ، وانتقل بعد بكاء العيون منهم إلي ضحك الأفواه ، [٤٦] «**وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا [كذا] بغضب من الله**»(١١٧) ، ولم يسع طاغيتهم من ذلك إلا إظهار الطاعة ، ومداراة الوقت حسب الاستطاعة ، وحضر يوم الجمعة ثامنه إلي الديوان ، وقد علاه ذل الصّغار والهوان ، وقدّم ما معه من الهدية ، بعد تقبيل العتبة الشريفة العلية ، فأُلبس قفطاناً يليق بشأنه ، ثم توجه إلي مكانه ، وفي يوم الاثنين حادي عشره تشرفت مدينة رودس بموطئ ملك العصر ، فدخلها مؤيداً

---

(١١٦) سورة الأعراف (٧) ، آية ١١٨ .

(١١٧) سورة البقرة (٢) ، آية ٦١ .

بالظفر محفوفاً بالنصر ، ودُقّت لقدومه البشاير وسُرّت من المسلمين السراير ، وكان وقتاً مشهوداً ويوماً في المواسم معدوداً ، فلو خُرِقت العادات بتحرك الجمادات ، لسعت إلي لُقياه ، وتشرَفت بشريف مُحيَاه ، جعله الله وارثاً للأعمار ، ماحياً آثار الكفار ، ما أعقب الليل النهار ، ودخلت وجوه الإسلام «ضاحكة مستبشرة»(١١٨) ، وخرجت منه [٤٧] وجوه الكفر عليها «غبرة ترهقها قترة»(١١٩) ، وأيقن المسلمون أن الساحل قد أمن من عدواء [كذا] البحر وساكنه لم يخَف سطوة عدو الدهر ، والإسلام قد أرست قواعده ، والقرآن فيه قد صدّقت مواعده ، وشرع العسكر المنصور في التعدية إلي ذلك البر ، واصطحبوا البشر والمسرّة وخلفوا لأعدائهم الغلبة والقهر ، وبرز الأمر الشريف بتهيئة الكنيسة لصلاة الجمعة ، وأن يُبالَغ في تطهير تلك البقعة ، فأُصلح شأنها حسب الإمكان ، ومحي غالب الصور المصورة في الجدران ، وعمل منبر لطيف من الخشب مزخرف لذهب وغيره من الألوان ، وفي ليلة الجمعة خامس عشره قبل انقراض الليل وطلوع فجره ، رحل عدو الله الطاغية ، وفئته الكافرة الباغية ، وأصبحت الأرض برحيلهم منها طاهرة وكانت الطامِثْ(١٢٠) ، والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث ، وبيوت الكفر مهدومة ، ونُيوب الشرك مَهتومة(١٢١) ، وطوائفه الحامية ، مجمعةً على تسليم القلاع الحامية ، [٤٨] وشجعانه المتوافية ، مذعنة لبذل القطايع الوافية ، لا يرون في ماء الحديد

(١١٨) سورة عبس (٨٠) ، آية ٣٩ .

(١١٩) سورة عبس (٨٠) ، آية ٤٠ .

(١٢٠) الطمث : الدنس .

(١٢١) مهتومة : مكسورة من أصولها .

لهم عُصره ، ولا في نار الألفة لهم نُصره ، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنه ، وبدّل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل الله أرضهم وديارهم من أيدي أصحاب المشأمة ، إلي أيدي أصحاب الميمنة ، وجاء أمر الله وأنوف الشرك راغمه ، وأدلجت[١٢٢] السيوف والآجال نايمه ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين ، «**وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**»[١٢٣] ، وفي يوم الجمعة المذكور ركب سلطان العالم إلي المدينة ، وقد علاه من الله الوقار والسكينه ، ودخل إلي الكنيسة وقد ذهب عنها اسم الكفر ورسمه ، وصارت من «**بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**»[١٢٤] ، واشتد الزحام وغص المكان بكثرة الأنام ، وأقيمت الخطبة فكادت السموات ينفطرن للفرح لا للتّرح ، والكواكب منها تنتشر السُّجوم لا للرُّجوم ، ورُفعت [٤٩] إلي الله كلمة التوحيد ، وكانت طرقها مسدودة ، وطُهّرت تلك البقاع وكانت بالنجاسات مكدودة ، وأقيمت فيها الخمس وكان التثليث يُقعِدها ، وانطلقت الألسن بالله أكبر وكان الكفر يُعَقِدُها ، وجُهر باسم ملك العصر في أعلا ذروة المنبر ، فرحّب به ترحيب من برَّ بمن برَّ ، وخفق عَلَماه في خافقيه ، فلو طار سروراً لطار بجناحيه ، وسماء الغفران بصيِّب الرضوان تمطر ، والصليب خَزْيان ينظر ، وقد صار الأذان مكان الناقوس ، والقُرّاء مواضع القُسوس[١٢٥] ، والكنيسة قد عادت محرابا ، والجنّة قد فتحت للمجاهدين وكانت أبواباً ، وكان ذلك اليوم

(١٢٢) دلج : طأطأ أو حنى .

(١٢٣) سورة الأنعام (٦) ، آية ٤٥ .

(١٢٤) سورة النور (٢٤) ، آية ٣٦ .

(١٢٥) القسوس جمع قس ، أي القساوسة .

مشهوداً ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الضلال صارخاً ، وكان الإسلام مولودا ، وكانت ضلوع الكفار لجهنَّم وقودا ، ثم لما انقضت الصلاة ، ركب سلطان البسيطة لا زال مخلّد المُلك ، على ظهر [٥٠] الفُلْك ، وانشد لسان الحال مخاطباً للكفرة الأنذال ، حين راحوا بالخيبة والذَّكال [السريع] :

قل لبني الكفر مضت رودس . . فليخزأوا بالرغم وليخنَسوا(١٢٦)

وليحزنوا حزن الثكول التي . . أصيب منها الأكرم الأنفسُ

كانت لهم حصناً فلم يُحرزوا . . بها من السوء ولم يُحرسوا

واتخذوها شركاً للأذى . . دهراً فمن حل بها ييأسُ

يصحبه الأدهم في رجله . . والغل في الجيد له الملبَسُ

وعينه تبيُّض من حُزنه . . من أسود العيش الذي يمْسَسُ

يودُّ مذ يصقَرّ من خوفه . . لو أحمرُ الموتِ له يرمُس(١٢٧)

عدوُّه الأزرقُ في لهوِه . . بحاله الأغبرِ لا يحسُسُ

يدعونه بالكلب والكلبُ من . . قيمته عندهم أنْفَسُ

ويقسمون الغُنْم من ماله . . وهو من الخشية لا ينبُسُ

وكم وكم من محنٍ تعتري . . أحواله وهو بها مُبلَسُ

حتى أتاح الله سبحانه . . لفتحها مَنْ سِرُّهُ الأقدسُ

فجال فيها جوْلةً غودرت . . بها مغاني كُفرهم تَدرسُ

وأصبح الناقوس في أوجها . . وهو بتوحيد الوري أخرسُ

(١٢٦) خنَس : توارى وغاب ورجع .

(١٢٧) يرمس : يدفن .

وزال منهــا حكم تثليـثـهــم . . بواحـدٍ أوهى الذي أسّــسـوا

وعــزّ من كــان ذليـلاً بهــا . . لمّــا بهــا ذَلَّ اللّــقــا الأنــس ُ

[٥١]وأطَّدَ الإســلام راياته . . لمــا غــدت راياتهم تُنكسُ

وانتســـخت آياتُ إنجــيلهم . . بآي قــرآنٍ غـــدا يُدرَسُ

وأبطل التمجيدُ ما أشركوا . . وأذهب التَّقديسُ ما قسَّسوا

وأصبحوا والأرض منهم خلت . . فليس فيهـا نفَسٌ ينفسُ

وغودروا والسعدُ من حظهم . من بعد ربحٍ بالأسي يُبخَسُ

ومن يكنُ يضحكُ من غيّه . . أضحى بما صار له يَعبسُ

وفارقوا الأوطانَ واستصحبوا . . كرْباً لهم عن ودّهم يحبِسُ

وأورث الله مليك الورى . . مـا كـان منهم دايمـاً يُيـأسُ

وصار فتحاً سايراً ذكرهُ . . كالشمس لا يعدَمُها مجلسُ

والنّظمُ قد رتب تاريخَـه . . بجيدها قد سُلّمت رودسُ

فلْيهـنِ هذا الفتح من قلبه . . بما ينافي الدين لا يُدنسُ

فـإنّه فـتحٌ تبـاشـيـرُه . . في كل قطر دايمـاً تَـهـجُسُ

دام مليك العصر مستظهراً . . والكفرُ في قاع الردي يُركَسُ

ما بقي التوحيدُ في أسعد [م] الطالع والشرك له الأنجَسُ

وأرسي نصره الله يوم السبت المبارك سادس عشر صفر بين مرمروس ، محروساً من الكدر والبوس ، وتبعه يوم توجهه من الجزيرة فرهاد باشا ، ثم مولانا أحمد باشا يوم السبت المذكور ، وتوجه مولانا [٥٢] الوزير الأعظم يوم

الثلاثا تاسع عشره ، وتأخر قاسم باشا[١٢٨] بكلر بكي أناطولي[١٢٩] حسب الأمر الشريف بجزيرة رودس ، ورُسم لعسكر أناطولي بالإقامة بساحلها ، وأن يجهد في عمارة أسوارها ، ومَرَمّات معاقلها .

[عودة السلطان]

وسافر نصره الله من بر مرمروس يوم الأربعا العشرون من صفر مصحوباً بالنصر والظفر ، ووجه السماء مكفهرّ ، والسحاب يجود بمائه المنهمر ، والشتاء في اشتداد صولته ، والبرد في أواسط دولته ، والرعد يُسبّح من خَلَل الغَمام ، وقد طاشت العقول وذهبت الأحلام ، وضرب الدجن مضاربه ، وأسبل عليه ذوايبه ، وجعل كل قرارة حفيرا ، وصيّر كلّ ربوة غديرا ، وخطّ كلّ أرض خطّا ، وغادر كل جانب شطّا ، واستمر السير وقد اشتد البرد ، وبلغ الحدّ واستفرغ الجهد ، ووقع الثلج ، وعَمي النهج ، وامتلأ به الفجّ والمرْج ، فيصبحُ الناسُ وصباحُهم أبيض ، وجناحُهم لا ينهض ، والعروقُ لا تنبْض ، [٥٣] والبروق[١٣٠] لا تومض ، والخيام لجمودها ، واقفة على غير عمودها ، والنيران

---

(١٢٨) قاسم پاشا : هو من عبيد السلطان بايزيد الثاني ، عين في عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م متصرفاً لحماة ثم نقل إلى أضنة ، وبعدها عُين بكلربك (والياً) على الأناضول فالروميلي ، وفي عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م عُين وزيراً ثالثاً ، وبعد سنتين عين والياً على مصر ، ثم عزل في اليوم الرابع والثلاثين ، فأعيد عليها ثم عُزل ، وتقاعد في سنجاق مورة عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م . وتوفي بعد سنتين ودفن بمدينة غاليبولي . لمزيد من المعلومات انظر : محمد ثريا ، سجل عثماني (استانبول ، ١٣٠٨) جـ ٤ ، ص ٨٤٧

(١٢٩) بكلر بك تركية الأصل وتعني أمير أمراء الأناضول .

(١٣٠) البروق : مفردها بَرْق : وهو نور لامع يمتد في السماء .

مقرورة ، وشَبَاة[131] الجليد مطروره[132] ، والزّناد[133] كابية[134] ، والصّعاد[135] نابية[136] ، والوجوه في عبوس ، والوجود في بوس ، وقد خمدت الأبدان كأنها بلا نفوس ، ونَبَت الأيدي عن أن تبطش ، والأقدام عن أن تنهض ، وأسودّ اليوم منه وإن كان أبيض ، وجاءت السماء بسيلٍ عَرِم[137] ولهبِ قرٍّ يضطرم ، وقد صوّب صوب الغمام سهامه ، ولبس الجو لحرب المحلِ لامه ، فلم يبق قطر إلا وقد نفذت فيه تلك السهام ، ولا أفقٌ إلا وعلاه من خيوط الودق[138] المختَبِسة مثلُ القتام[139] ، فلا أحدٌ إلا وجد من ذلك ما أقلقه ، وأحرق قلبه بتواليه وإن كان في الحقيقة أغرقه ، والشمس مرةً تتراءي من السحاب ، وكرّةً تتواري بالحجاب ، كعِنّين[140] يحاول فض عذرا ، أو مرآة في يدٍ شلاّ ، والرذاذ يكِفُ أونةً ويكُّف أخري ، كحسناء تخاف [٥٤] من محبّها هجراً ، فتنثر لؤلؤ الدمع نثرا ، ثم تذكر ما لها في قلبه من المكانة ، فترجع إلى الاستكانة وتكفكف الدمع فرحاً ، وتنشئ نشاطاً ومرحاً ، ولم يزل خلّد الله مُلكه ، وعجّل لعدوه دماره وهُلكه يصل السير بالسّرى ، ويُنفّرُ عن وكر العيون

(١٣١) شباة : حد وطرف الشيء .

(١٣٢) مطرورة : حادة .

(١٣٣) الزناد : جمع زند .

(١٣٤) كابية : النار الكبية : هي الخابية التي غطاها الرماد والجمر تحته . كبى : أي أخطأ الهدف .

(١٣٥) الصعّاد : مفردها صعدة : الرماح .

(١٣٦) نابية : نبى : أخطأ الهدف .

(١٣٧) السيل العرم : الذي لا يطاق دفعه .

(١٣٨) الودق : المطر .

(١٣٩) القتام : السواد .

(١٤٠) عنّين : هو الذي لا يأتي النساء لعلة أو لسحر أو لعدم اشتهاء .

طير الكري ، حتى وصل إلي المنزل المسمي بِدِلْ[١٤١] ، مصحوباً بالصحة والسلامة ، محبواً بصنوف الكرامة ، فترك أعمال الخُفّ والحافر ، وامتطي صهوة البحر الزاخر ، وحين ارتقي من ذروة الفُلك أعلامها ، قال لخدمه **«اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها»**[١٤٢] ، ولم تزل الريح تصحبه رُخاء ، ولا يري إلا راحة ورخاء ، حتي أرست به الفلك ، حيث مستقر الملك ، فعند ذلك راجعت الأيام سرورها ، وصالحت الأوقات غِبطتها وحُبورها ، وسُرَّ بقدومه الكون وما حوي ، وانقبض ما كان منتشراً من ألم البين وانطوي ، وأقبلت دول الأفراح ، راكضة جياد السرور والارتياح ، في ميادين الجذل والمراح ، [٥٥] وتتابعت زُمر التهاني بأفانين الأماني ، وقرَّت عين المُلك ، بما أسدته يد الفُلك ، وأنجزت الأيام وُعودها ، وأطلعت في سماء المجد سُعودَها ، بعَوْدِ ملك البسيطة ، إلي دارة عزّهِ التي هي بعالم الأرض محيطة ، ورجوع مجده ، إلي مقر سعده ، وتخْت أبيه وجده ، أعني قسطنطينية العظمي ، ذات المحل الأرفع والمقام الأسمي ، مدينة العلم وقرارة الحلم ، ومحط الرجال ، ومنتهي الترّحال ، وكعبة الكرم ، وقبلة النِّعم ، ومعدن الفخار ، وموطن السنن والآثار ، ومنبع الإقبال ، ومربَعِ الآمال ، ومنتهي المطالب ، ومشتهي القاصد والطالب مَظهر شموس السياده [كذا] ، ومقر السعاده ، آياتُ محاسنها لم تزل بألسن السُّمار مملوَّه ، وعرايس بدايعها لم تبرح على أعين النظار مجلُوّه ، أجلّ ما فُتح من البلاد ، وأعظم [٥٦] ما استخلصته يد الصلاح من الفساد ، كم خطبَها

(١٤١) دِلْ : لم نتمكن من تحديد موقعها بدقة .

(١٤٢) سورة هود (١١) ، آية ٤١ .

عظيمٌ من ملوك الزمان وأمهرَها مواضي المشرفية وعوالي المُرّان[١٤٣] ، وهي أشد ما يكون إباء ، وأوفى ما يتصور منعة واستعصاء ، إلي أن قصدها من ادُّخر له ذلك الفتح ، في خبرٍ طويل الشرح ، وهو المرحوم السعيد الشهيد السلطان محمد خان[١٤٤] بن مراد خان[١٤٥] بن عثمان ، بوّأهُ الله غُرف الجنان ، بمزيد العفو والغُفران ، فذلّت له صعابُها ، وخضعت لعزته رقابها ، ولان جماحها ، وتسنّي انفتاحُها ، وأُعلن فيهاَ بالتهليل والتكبير ، وصُرِّح بالصلوة علىَ البشير النذير ، واعتدلت بعد انحنائها قامات المناير ، وارتفعت بعد خفضها درجات المنابر ، وأُخرست النواقيس ، ونُطق بالتأذين على رغم أنف إبليس ، وخُطّت المساجد والمدارس ، وعُمِّرت بأوقات الخيرات بعد ما كانت دوارس ، ونَطَقت خطباء الإسلام ، فسكتت القساقسة اللئام [٥٧] ، ونَصَب الدين المحمدي بها خيامه ، ورفع الشرع الأحمدي على قُللها أعلامه ، وبُدلت من الإنجيل بالقرآن ، وعُوّضت من الرهبان بعلماء الإيمان ، فأصبحت شموس الدين بأفاقها مشرقة ، وسحب اليقين بروضاتها مغدقة [الطويل] :

كأن لم تكن للكفر داراً ولم يقم بها قايم نعماء مولاه يكفرُ

---

(١٤٣) مرآن : شجر تؤخذ من عيدانه قنا الرماح ، وتكون عيدانه لينة صلبة ، ويقال رماح المران أو المران .

(١٤٤) ولد السلطان محمد الثاني في ٢٦ رجب ٨٣٣هـ/ ٢٠ إبريل ١٤٣٠م ، وهو سابع سلاطين الدولة العثمانية ، تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان مراد الثاني عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ، كانت له فتوحات جليلة أهمها فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ، حكم حتى عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ، وحكم بعده ابنه بايزيد الثاني .

(١٤٥) ولد السلطان مراد الثاني عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ، تولى زمام الدولة العثمانية بعد وفاة والده السلطان محمد الأول عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م ، وهو سادس سلاطين بني عثمان حكم ثلاثين عاماً .

وصـــار بهــا الإســلام في أرفع الذُّرا … تتـيـه بمـجـدٍ من عُـلاه وتفـخـرُ
وأعلن بالتوحيد من كان ساكتاً … وخافَتَ بالإشراك من كان يجهرُ
وقام منارُ الدين بعد قعوده … وظل به يزهو سريرٌ ومنبرُ
وتاهت على كل البلاد بدولة … لها السعد عبدٌ طوع مايتي تأْمُر[كذا][146]
وأضحت وأعناق الممالك خُضَعاً … لدَيها وَجبهات الملوك تُعفّرُ
بِسَعدِ سليمانَ الزمان ومن له … إله البرايا ناصرٌ ومظفِّرُ
مليك حباه الله ملكاً مُؤبداً … يجدُّ على مر الليالي ويُذكَرُ
مليكٌ له عزمٌ إذا ما انتضان [كذا] لا … يقاربه ماضٍ صقيلٌ وأبترُ
مليكٌ به الإسلام أصبح سامياً … يُعزُّ بإرغام العدا ويؤزرُ
مليكٌ إذا ما همّ أيسر همةٍ … لقصدٍ تسنى مسرعاً لا يُقصّرُ
مليكٌ أبادَ الكفرَ رعباً فلم يدع … لهم أنفساً إلا بذكراهُ تُذعرُ
مليكٌ يري أن ليس في الأرض مشتهى … سوى منع دين الله مما يُغيّرُ
[58] مليكٌ له فوق السمّاكين[147] رتبةٌ … جميع المعالي دونها تتقهقرُ
مليكٌ بدا في الكون للناس رحمةً … به كل مكسورٍ من الدهر يُجبرُ
مليكٌ يحارُ الفهم في كُنهِ وصفهِ … ويعجز عنه الفكر حين يَفكّرُ
إذا قال فيه الشعرَ أشعرُ شاعرٍ … ولو أنه الشعرى لما كان يشعرُ
ولكنه بالحلم يُغضي عن الذي … يُقصّرُ بعد الجهد فضلاً ويعذُرُ
فلا زال في سعدٍ يدوم ودولةٍ … مُخلّدةٍ ما قال بِشراً مُبشّرُ

(146) والأصح أن يقول: ما يأتي تأمّرُ.

(147) السماكين: كوكبان نيّران يقال لأحدهما السِّماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السمّاك ورمحه، وللآخر السمّاك الأعزل لأن ليس أمامه شيء. [انظر: المنجد الأبجدي، ط5 (بيروت، 1967) ص 562].

ولعمري إنها لمدينة العمران ، والمشار إليها دون ساير البلدان ، إذ هي تخت(148) الملك الأعظم ، ومقر المجد المعظم وموفد الوفود ، ومنبع الكرم والجود ، وبها العمارات العظيمة ، ذوات الصدقات الجسيمة ، والمبرّات(149) العميمة ، والقصور المنيفة(150) ، والمتنزهات اللطيفة ، والرياض النضرة ، والمروج الخضرة ، فهي نزهة النفوس ، ومسرّة العَبوس ، وبُهجة الخواطر ، وقُرّة النواظر ، وبها من الآثار العجيبة ، والأبنية الغريبة ، ما تذهل له الألباب ، ويستولي عليها منه العجب العجاب ، وبها من الأيمة الأعلام ، وقضاة الإسلام ، ما يتحمل به الزمان ، ويفتخر بمجده [٥٩] العصر والأوان ، إذ كلٌ منهم علاّمة العصر ، وفرد الدهر ، وعالم الوقت ، والمبرآ من الشَّين والمَقْت ، وبحر العلوم ، ومالك أزمّة المنطوق والمفهوم ، ونُعمان(151) زمانه ، وأبو يوسف(152)

---

(١٤٨) تخت : فارسية الأصل وتعني سرير ، وتخت الملك تعني مقر الحكم .

(١٤٩) المبرة : العطية أو الهدية .

(١٥٠) المنيفة : المرتفعة .

(١٥١) أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٧م) ، فقيه وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد ونشأ بالكوفة ، وهو فارسي الأصل ، أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يوليه القضاء فلم يقبل ، فحبسه إلى أن مات . لمزيد من المعلومات انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ ٨ ، ص ٣٦ ، ومنير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، ط ١ (بيروت ، ١٩٩٠) ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(١٥٢) أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (١١٣ - ١٨٢هـ/ ٧٣١ - ٧٩٨م) ، فقيه ومحدّث ، وهو تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه ، وهو من حفاظ الحديث ، وأول من نشر مذهب أبي حنيفة رغم اختلافه معه في بعض المسائل ، تولى القضاء ببغداد في عهد المهدي والهادي والرشيد ، وهو أول من عُرف بقاضي القضاة . لمزيد من المعلومات انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ومنير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، ط ١ ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

أوانه ، وكنز الطالبين ، وهداية الراغبين ، ومختار الحق ، واختيار الغرب والشرق ومجمع الفضايل ، ونُقاية الأماثل ، وصدر الشريعة ، ذو الفنون البديعة ، دام فخرهم ، وسما قدرهم ، ولا برح نير سُعدهم مشرقاً في الأكوان ، والانتفاع ببركتهم ، وبركة علومهم دايماً مدي الأزمان ، فكل فرد منهم نيّر قطرها الأعظم ، وريس مجدها المكرّم ، تفتخر به على ساير الأمصار ، وتسمو به عصره على غابر الأعصار ، فهي الآن مصر الدنيا ، والمُنفردة بالمرتبة العليا ، جعلها الله دار الإسلام والإيمان ، ومحل الأمنية والأمان ،ومقر الدولة والسلطان ، ما تعاقب المَلَوان بدوام حيوة سلطان العالم ، وخير ملوك بني آدم ، لا برحت دولته مخلّدةً خلود الأبرار ، في [٦٠] دار القرار ، وسعادته مؤبدة متسلسلة الأدوار ، ما دار الفَلَك المُدار ، بتعاقب الليل والنّهار ، وكان الوصول إليها ، والاستقرار لديها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة ٩٢٩ .

[وصف مدينة رودس]

وأما التعريف بمدينة رودس(١٥٣) وجزيرتها ،فإنها مدينة صغيرة عجيبةُ التركيب ، غريبةُ الترتيب ، صعبةُ المرام ، بديعةُ الإتقان والإحكام ، رائعةُ التأليف ، هائلةُ الترصيف ، ممتنعةُ الأسوار ، ذاتُ خنادقَ بعيدة القرار ، وبها من الدور المعتبرة للكلاب الكفرة ، ما يحير فيه النّعت ، ويستغرق الوقت ، من أبنية مرتفعة ، وسقوف مبدعة ، وجدران مزخرفة ، وحيطان منمنمة(١٥٤) مُفوّفه وأبواب مُحْكمة الإبداع ، بديعة الأوضاع ، ورخام غريب التركيب والانتظام ،

(١٥٣) على الهامش الأيسر للصفحة توجد كلمة : رُودِس ، وقد كتبت بخط ذهبي ، وتحتها بخط أسود توجد هذه العبارة : هكذا اضبطها في القاموس بكسر الدال .

(١٥٤) منمنمة : منقوشة .

محكم الإلصاق والإلحام ، يطرد[١٥٥] ماؤه ، ولا تنطرد[١٥٦] لألاؤه ، قد تلطّف الحديد في تجزيعه ، وتفنّن في تفويفه[١٥٧] وتوشيعه إلي أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، والذّهب [٦١] الذي فيه نعيمٌ عتيد ، إذا أجلْت النظر في مغانيها ، ومُشيَّد مبانيها ، فما تري إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق[١٥٨] ، وعَمُداً كالأشجار لها من النقوش أوراق ، فهي روضة جنان ، لا دِمنةُ[١٥٩] سُكّان ، قد بنوها بالعُمُدِ والصِّفاح ، وحموْها بالأسَل[١٦٠] والصِّفاح[١٦١] ، تنقطع دون تملكها الأطماع ، لما هي عليه من التحصُّن والامتناع ، قد أقسمَت بعلو هضابها ، أن لا يفوز مبَلسمُ الثريا برَشْف رُضابها[١٦٢] ، فلا ترتقيها إلا الظنون ، وكأنها ضبٌّ ومن يطمع فيه نون ، ولقد قيس بعض أسوارها فكان سبع خطواتٍ مع مد الرِّجل إلي نهايتها ، ومن رأي هذه المدينة ، وعرض أسوارها ، وعمق خنادقها ، يعلم قدر ما منّ الله به من تسهيل فتحها ، وإنه شيء يعجز البشر ، ويحير الأفهام والفكر ، وبداخلها كنيستهم الكبري وهي بناءٌ عجيب ، وترتيب غريب ، وعلى أبوابها من كل جانب تصاوير بديعة ، قد [٦٢] أُحكمت نُقوشُها ، وأُبدعت رُقوشها[١٦٣] ،

(١٥٥) يطرد : يجري باستمرار .

(١٥٦) تنطرد : تنطفي .

(١٥٧) تفويف : وضع نقط أو خطوط بيض بالطول في الثوب أو القماش أو المبنى .

(١٥٨) رقراق : كل شيء له تلالؤ وبصيص .

(١٥٩) دمنة : مزبلة .

(١٦٠) الأسل : الرماح .

(١٦١) الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة .

(١٦٢) الرضاب : الريق المرشوف .

(١٦٣) رقّش : جعل الشيء ملوناً ، رقوش : ألوان .

يخيّل لناظرٍ تلك الأشباح ، أنها ذوات أرواح ، لا سيما بابها الكبير ، فإن عليه من التصاوير ما يحيّر النظر ، ويذهل الفكر ، وعلى الباب المذكور صورة آدمي من نحاس أصفر ملقي على قفاه فوق تختٍ من الخشب ، وثيابه التي عليه كلها من النحاس الأصفر أيضاً ، ويداه موضوعتان على صدره ، وفي يده صورة سبحة من النحاس أيضاً ، وله لحية من النحاس ، وبها تجعيد غريب يحاكي تجعيد الشعر ، وعلى رأسه هيئة قلنسوة من النحاس أيضاً يزعمون أنه صورة كبير من ملوكهم ، وفي داخل الكنيسة على يسار الداخل فوق تخت من الخشب أربع صور من النحاس ، أحدها صورة سبعٍ ملتفت برأسه إلي جانب من الجوانب ، وإلي جانبه صورة طائر مفتوح الجناحين ، وفي رأسه قرنان ، وإلي جانبه صورة سبعٍ آخر ، وإلي جانبه صورة طائرٍ ، وهما كالأولين ، والكنيسة [٦٣] مستطيلةٌ وفي صدرها المكان الذي يصلّون فيه إلي الشرق ، وفي جانبيها صورة مكانين مرتفعين ، عليهما درابِزينات[١٦٤] من الحديد المحكم ، وفي صدر كل واحد منهما دكةٌ من الخشب عليها صورة آدمي من الرخام ملقي على ظهره ويداه على صدره وفي صدر الحايط الذي يليه صورٌ من الدِّهان بالذهب ، وصورة اللاذورد[١٦٥] ، وساير الألوان ما بين امرأة يزعمون أنها صورة[١٦٦] مريم ، وفي يدها ولدٌ صغيرٌ يزعمون أنه صورة المسيح مع صوَرٍ أُخر غريبة الوضع ، عجيبة الصنع ، يعتقدون أنها تقرّبهم إلي الله زلفى ، بلَ تقرّبهم إلي نارٍ سعيرُها لا يُطفي ، وفيها مواضع متعددةٌ موضوعٌ فيها

(١٦٤) درابزينات : قوائم من الحديد أو الخشب توضع حول السلالم ، وتعرف بالإنجليزية باسم Banister

(١٦٥) اللاذورد : ؟

(١٦٦) وهي مكتوبة فوق السطر .

آلاتٌ من الحديد والنحاس لرصد الأوقات ومعرفتها ، وفي طرف الغرب منها ساحة كبيرة سمائية ، وفيها بناء مرتفع جداً ، وعليه نواقيسهم الكبار ، وتحتها صور الكواكب والشمس والقمر بنقوشٍ عجيبة وأوضاعٍ غريبةٍ ، يخيل لرائيها من حسن مرائيها ، أنها زهر الربيع ، لتفويفها البديع ، [٦٤] وكان أعداء الله قد أنزلوا من نواقيسهم ثلاثة إلي الأرض ، عندما أقبلت المراكب الإسلامية خوفاً عليها من إتلافها بالرمي ، أحدُها وهو أكبرُها ، ارتفاعه من الأرض نحو عشرة أشبار ، ودورُ أسفله نيّفٌ وعشرون شبراً ، وكانت معلقةً في حديدٍ مصمتٍ في غلظ الإبهام ثلاث مرات فكان إنزالهم لتلك النواقيس ، فالاً مؤذنا لهم بالتنكيس ، وكان بالكنيسة المذكورة عدة أصنام من الرخام الأبيض ، فأُخرجت وكُسِرت، وطُمِس(١٦٧) غالب ما فيها من الصور ، وبالقرب من الكنيسة المذكورة دار السلطنة ، وهي دارٌ مُحكمة البناء ، غريبة الترتيب ، وبابها في نهاية الإحكام ، مغلّفٌ بالنحاس الأصفر ، ومن جوانب الكنيسة المذكورة دور أكابرهم ، وبالمدينة عدة كنائس ، وفيها من التصاوير العجيبة ما لا يحصر ، وأزقتها مفروشةٌ بالحصى الكبار المغموس في الكلس بصفةٍ غريبة ، وترتيب عجيب ، وبها أرحيةٌ كبيرةٌ تدور بالهواء ، وبها أبيارٌ متعددةٌ عذبة المياه ، وبها المينا العظيمة [٦٥] محل مرسي المراكب ، وهي على غايةٍ من الترتيب والإحكام ، وبها عدة أبيارٍ واسعة الأفواه ، كأنها برك موضوعة ، وهي من الرخام الأبيض في غاية العذوبة ، وبالمدينة أسواق كبيرة معمورة بأهلها ، وأفرانٌ متعددةٌ ، ما عدا الحمّامات ، فإنهم لا يهتمون بها ، ومحاسنها كثيرة ، وهي

(١٦٧) طَمَس : غطى . وهي عادة العثمانيين حيث كان من عادتهم عدم تخريب أو حرق الصور ، وإنما كانوا يغطونها بطبقة من الجبس ، ومن يذهب إلى الكنائس الموجودة في استانبول من أيام الدولة العثمانية يستطيع أن يشاهد تلك الصور .

معتدلة الحر والبرد ، جعلها الله دار الإسلام إلي يوم القيامة ، وأما ظاهر المدينة فبساتين كثيرة بها غالب الفواكه حتي النخل ، وبها النارنج[(١٦٨)] والليمون والأترجّ[(١٦٩)] ، وبالجزيرة من الأعشاب والزهور ما لا يحصي كثرة ، وبطرفٍ منها بعيدٍ عن البحر مدينة رودس القديمة ، ولم يبق منها إلا بعض الآثار ، وقد برز الأمر الشريف بعمارتها وقت المحاصرة ، فعُمّر فيها جانبٌ كبيرٌ ، وبالجزيرة المذكورة حصونٌ متعددةٌ ، منها حصن كبير يسمي تخت لي ، وقد أطاعت كلها وأذن للانقياد أهلها ، فلله الحمد والمنة على هذا الفتح المبين العديم النظير والقرين ، وإن كان من تقدّم من الملوك قد فتح كثيراً من [٦٦] الحصون المستصعبة ، والقلاع التي طالما أعجزت بالقهر والغلبة ، ولكن ليس فيها مقاربٌ لهذه ولا مُدان ، والخبر لا يشابه العيان ، فإن هذه المدينة طالما فطّرت الأكباد ، وأشمتت الحسّاد ، وأيتمت الأولاد ، وأيّمت[(١٧٠)] الكواعب[(١٧١)] النّهاد[(١٧٢)] ، وانتشر منها فيساير الأقطار الفساد ، طال في الكفر عُمُرها ، وتمادي في الشرك برُّها وبحرها ، وطار بنحس الصّيت ذكرُها ،واستغرق المعروف نُكرُها ، فليس يدانيها في العصيان قلعة ، ولا يضاهيها في الطغيان بقعة ، ولقد كانت في الشوم أم القري ، وفي اللوم الغاية التي لا يُشك فيها ولا

---

(١٦٨) النارنج : البرتقال المر .

(١٦٩) الأترج : الكبّاد وهو نبات حمضي من جنس الليمون أو ، وهو ناعم الورق والحطب ، وفي الإنجليزية يعرف باسم Citron .

(١٧٠) أيّم : إذا صار الرجل بلا زوجة ، وكذلك المرأة بلا زوج بسبب الوفاة أو الطلاق .

(١٧١) الكواعب : مفردها كاعب : وهي البنت التي نهد ثدياها .

(١٧٢) النّهاد : نَهد الغلام أو الفتاة : أي وصل إلى سن المراهقة . الكواعب النهاد : بمعنى النساء الصغيرات .

يُمتري ، طالما أسهرت العيون ، وخيّبت الظنون ، وأيأست من المُني وجلبت المنون ، كم مضي بحسرتها ملكٌ كبير ، وكم مقضي بغصتّها خلقٌ كثير ، حتي أتاها اليوم الموعود ، والوقت المشهود بدولة سلطان الزمان ، وسليمان العصر[٦٧] والأوان ، فقام في ذات الله وما قعد ، وأسهر عينيه في نصر دين الله وما رقد ، وجاهد في الله حق جهاده ، وبذل في ذلك نفيس طريفهِ وتلادِه ، وحشد إليها العساكر الإسلامية ، والجيوش المحمدية ، وأراها ما لم تره غابر الأيام ، ولم تخيّله لها الأوهام ، ولم تُمثّله الأحلام ، فذَلّت صعابُها ، وخضعت رقابها ، ورَغم أنفها ، وآن حتفها ، لولا ما لجأت إليه من الإذعان ، ولاذت به من طلب الأمان ، وقال لسان حالها «**رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان**»(١٧٣) ، فانتسخت [؟] ظلمة الكفر بنور الإيمان ، وتعوّضت من الإنجيل القرآن ، واستبدلت من القساقسة والرهبان ، بالعلماء الأعيان ، وبالجمعة من الأحد ، ومن التثليث بـ «**قل هو الله أحد**»(١٧٤) فأصبحت لعيون المسلمين قُرّة ، بعد أن كانت لهم محل العذاب ومقره ، وأضحت [٦٨] للإسلام جُنّة(١٧٥) ، بعد أن كانت ملجأً لشياطين الإنس والجِنّة(١٧٦) ، وأطفأ الله نار الكفار الموقَدة ، وجعلها عليهم موصدة ، وأخرجهم من أحبّ أوطانهم ، إلي مقر أحزانهم ، ومن محل عزّهم وسلطانهم ، إلي محل ذلّهم وهوانهم ، وصيَّرها في أكبادهم غصة بها يُجدَّدون ، وجعلها حسرة في قلوبهم إلي يوم يبعثون ، وإلي الله التضرع والابتهال ، والتذلّل والسؤال ، في دوام هذه الدولة الشريفة السليمانية أبد

(١٧٣) سورة النمل (٢٧) ، آية ٤٤ .

(١٧٤) سورة الإخلاص (١١٢) ، آية ١ .

(١٧٥) جُنّة : الوقاية ، أو هو كل شيء يستر أو يقي كالدروع أو السلاح .

(١٧٦) جِنّة : طائفة من الناس .

الآبدين ، ودهر الدّاهرين ، لتكون وارثة أعمار الدول ، سالمة بسلامة سلطان العالم من كل نقص وخلل ، مُزيّنةً الدنيا بمصابيح عدلِها ، مُجمّلة العلياء بعلو مجدها ، وسموّ فضلها ، آمين آمين لا أرضي بواحدة ، حتي أضيف إليها ألف آمينا ، وكانت مدة السفر ذهاباً وإياباً والإقامة ، سبعة أشهر واحداً وعشرين يوماً ، جعل الله أجر ذلك مُضْعفاً ، ولأعداء الله الكفرة مُضْعفا [٦٩] ما أظل الملوان(١٧٧) ، وبقي الثقلان ، وكان الفراغ من توشية(١٧٨) هذا الإنشاء وتصنيفه(١٧٩) وتنميقه(١٨٠) وتفويفه ، يوم السبت الثاني والعشرين من شهر رجب الفرد ، سنة تسع وعشرين وتسع مائة على يد مؤلفه فقير عفو الله تعالي ، عبدالرحيم العباسي لَطَفَ الله تعالي به ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١٧٧) الملوان : طرفا الليل والنهار .

(١٧٨) توشية : إدخال عبارات حسنة تزيد في حسنه وجماله ، كالذي يوشي كلامه بأبيات شعرية أو بحكم وأمثال .

(١٧٩) التصنيف : التأليف ، والمصنَّف : الكتاب المؤلَّف .

(١٨٠) التنميق : أصلها : نمّق : كتبه بخط حسن ، وصاغه بعبارة حسنة .

حكام جزيرة رودس

١ - فولك دو ويلارت Foulques De Villaret : ٧٠٩ - ٧١٨هـ/ ١٣١٠ - ١٣١٨م

٢ - هليون دو ويلنوو Helion De Villeneuve : ٧١٨ - ٧٤٥هـ/ ١٣١٨ - ١٣٤٤م

٣ - ديودون يو غوزون Dieudonne De Gozon : ٧٤٦ - ٧٥٣هـ/ ١٣٤٤ - ١٣٥٢م .

٤ - پيير دو قورنليان Pierre De Cornelian : ٧٥٤ - ٧٥٥هـ/ ١٣٥٢ - ١٣٥٤م .

٥ - روجر دوپن Roger De pins : ٧٥٥ - ٧٦٥هـ/ ١٣٥٤ - ١٣٦٤م .

٦ - رايمون بيرانجه Raymond Berenger : ٧٦٥ - ٧٧٤هـ/ ١٣٦٤ - ١٣٧٣م .

٧ - روبرت دو جولياك Robert De Julliac : ٧٧٤ - ٧٧٧هـ/ ١٣٧٣ - ١٣٧٦م .

٨ - جان فردينان دهريديا J. Ferdinand D'Heredia ٧٧٧ - ٧٩٧هـ/ ١٣٧٦ - ١٣٩٥م

٩ - فليبر دو نالياك Philibert De Naliac : ٧٩٧ - ٨٢٨هـ/ ١٣٩٥ - ١٤٢٥ .

١٠- أنطوان فلوڤيان Antoine Fluvian : ٨٢٨ - ٨٣٩هـ/ ١٤٢٥ - ١٤٣٦ .

١١- جان بونپار دو لاستيك Jean Bonpar De Lastic : ٨٣٩ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٦ - ١٤٥٣م .

١٢- جاك دو ميللي Jacques De Milly : ٨٥٧ - ٨٦٤هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦٠م .

١٣- پيير رايمون زاكوستا Pierre Raymond Zacosta ٨٦٤ - ٨٦٩هـ/ ١٤٦٠ - ١٤٦٥م .

١٤- جـــان بابتـــيس دو أورسـن Jean Babtste Des Ursins : ٨٧٠ - ٨٧٩هـ/ ١٤٦٥ - ١٤٧٤م .

١٥- پيير دوبسون Pierre D'Aubusson : ٨٧٩ - ٩٠٨هـ/ ١٤٧٤ - ١٥٠٣م .

١٦- أمري دامبواز Emery D'Ambiose : ٩٠٨ - ٩١٧هـ/ ١٥٠٣ - ١٥١١م .

١٧- غاي دو بلاشفورت Guy De Blachefort : ٩١٧ - ٩١٩هـ/ ١٥١١ - ١٥١٣م .

١٨- فابريس كاريتو Fabrice Carretto : ٩١٩ - ٩٢٦هـ/ ١٥١٣ - ١٥٢٠م .

١٩- فيللر دو ليل آدم Villiers De L'Isle Adam : ٩٢٦- ٩٢٩هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٢٣م .

المرجع :

مؤلف مجهول ، رودس تاريخي ، ملت كتبخانة سي ، علي أميري رقم ٢٨٨ .

الملاحق

ملحق (١)

ملخص الرسالة رقم TSMA, Arzlar E 6349

وردت أوامر بالتحقق مما لدى كفار جزر البحر المتوسط من سفن [أي من أهالي رودس] ، وامتثالاً لذلك فنودّ إعلامكم بأن أعمال القرصنة والسلب والنهب تأتي دائماً من أهالي جزيرة رودس ، وما يتبعها من جزر ، وأن أهل الجزيرة قبضوا على زوجة وعيال محمد من طائفة السباهية ، وبقوا محبوسين بالجزيرة لمدة عامين ، وأنه في عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م خرجت ثلاث سفن من نوع قادرغه من قلعة رودس ، واستولت على سفينتين كبيرتين من نوع گمي كانتا تحت إمرة كل من عيسى ريس واسكندر ريس ، ثم ورد حكم همايوني باسترجاعهما .

أضعف العباد حسين المولى

بازدين

ملحق (٢)

ملخص الرسالة رقم TSMA, Arzlar E 6637

وردت أوامر مع چاوش علي بضرورة تعقب الكفار الموجودين بجانب البحر [المتوسط] ، وبمعرفة عدد سفنهم ونوعيتها بدقة (نه أصل كميلر ايدي) ومقدار المسافة إلى تلك الديار (واول محلده نمقدار گون اكلنديلر) ، وأن تكتب [لنا] عن ذلك .

فأودّ إعلامكم بأنه توجد هناك ١٥ سفينة (پاره) تابعة لجزيرة رودس ، والجزر التابعة للبندقية هي : اسكاثوس واسكيروس ، واسكاثوس عبارة عن قلعة وهي ملاذ لسفن اللصوص . والمسافة من هاتين الجزيرتين إلى جزيرة أغريبوز حوالي خمسة أميال ، وبالجزيرتين المذكورتين أعداد كبيرة من اللصوص الكفرة ، وهم يذهبون إلى قرى المسلمين ويأخذون نساءهم وأطفالهم أسرى ، وسفنهم من نوع غاليون ، وقادرغه ، وقايق ، وبركنده . وتوجد هناك ٢٢ قطعة في جزيرة اسكاتوس [كذا] ، ولا تأتي سفنهم هنا دفعة واحدة ، وكثيراً ما تتعاون سفن كفار رودس مع جزر البندقية لإيقاع الضرر بالمسلمين ، وقد أخذتُ هذه المعلومات من أهل الخبرة والدراية ، وأرسلتُ أسماءهم في سجلٍ إلى استانبول .

الفقير الحقير علي ديزدار بأغريبوز

ملحق (٣)

ملخص رسالة السلطان سليمان إلى قاضي بورصة[1]

منذ بداية تسلمنا للسلطة ونحن سائرون على إعلاء ونصرة هذا الدين بتوفيق من الله تعالى ، وجل همنا واهتمامنا رفع أعلام هذا الدين لقلع وقمع آثار الكفر والظالمين ، وسيراً على هذه العادة الحسنة ، والسنة المرضية ، صدرت أوامرنا بضرورة استخلاص قلعة رودس من أيدي الكفرة ، وقد أعددنا أسباب القتال ، والرجال الأبطال ، والسفن والمراكب ، وقد أُرسل وزيرنا مصطفى باشا لإنجاز هذه الغاية ، كما شاركنا شخصياً في هذه الحملة من القسطنطينية المحروسة إلى اسكودار .

وسارت المراكب برفقة المشار إليه مصطفى باشا إلى الجزيرة ، فأنزلوا العساكر والمدافع وسائر آلات الحرب من السفن إلى الجزيرة . أما نحن فقد طوينا المراحل إلى أن وصلنا إلى ميناء (اسكله) مرمروس ، وفي الصباح الباكر عبرنا إلى جزيرة رودس . وعندها شرعنا بحصارها بعد اختيار الأماكن المناسبة ، وقد شارك بالحملة كل من المشار إليه مصطفى باشا ، وإياس باشا : بكلر بك الروميلي ، وقاسم باشا : بكلر بك الأناضول ، وبالي آغا : آغا الإنكشارية ، ومجموعات من عساكر الروميلي والأناضول ، ووضعوا أدوات الحصار والحرب ، وبعد نزولنا الجزيرة باشر الصدر الأعظم پير محمد باشا مع بعض عساكر الروميلي والأناضول وغيرهم بمحاصرة القلعة المزبورة . وكان

(١) فريدون بك ،منشآت السلاطين، ط ١ ، ص ٤٧٠ - ٤٧٣ .

أهالي رودس يقطعون طريق المسافرين بالبحر ، ويسفكون دماء التّجار ، وذلك منذ أن سكنوا الجزيرة وحتى هذا الوقت . ورودس جزيرة في غاية المتانة ، وأسوارها طويلة وعريضة ، وخندقها عميق ، لذا لم يتمكن منها أي من سلاطين المشرق أو المغرب ، وظل الملوك في حسرة من أمرها ، فأحاطت عساكرنا بها ن جميع الجهات والأطراف من البر والبحر ، ونزلت المدافع عليهم كالصواعق أحدها يعلو والآخر يهبط ليل مساء ، والسماء أخذت تقذفهم بالحجارة ، لذا لم يستطع أي من الكفار من المتواجدين بالأبراج من أن يرفع رأسه ، واستمر الحال على ذلك عدة أيام وليال ، وحدث قتال وجدال ، إلا أن أبواب المدينة لم تفتح .

وفي اليوم الثالث من ذي القعدة سنة ٩٢٨ تم إطلاق قذائف كالمطر ، وهجمت العساكر المنصورة على الأسوار ، كما تم حفر أنفاق تحت بعض الأبراج والأسوار ، إلا أننا لم نتمكن من إزالة شرور الكفار الملاعين الموجودين بالداخل بسبب متانة الأسوار . فحارب الغزاة بما معهم من أسلحة ، وشددوا هجماتهم على القلعة ، ولم يتصور أحد بأن يستسلم الكفار ، ولكن بتوفيق من الله تعالى زادت عساكرنا من تخريب قلاعهم يوماً بعد يوم ، وألقت المزيد من المدافع والقذائف حتى تهدّمت أجزاء كبيرة من الأسوار ، وفي اليوم الثالث من محرم سنة ٩٢٩ أمطرتهم عساكرنا بالسهام والقذائف ، وخرّبت دورهم وقصورهم ، فزادوا في عنادهم ، وأشعل ذلك مزيداً من لهيب الغضب عليهم ، فأمطرناهم من جديد دون أدنى تأخير مزيداً من القذائف ، فأرسل حاكم رودس (مغال مستوري) أركان دولته يطلبون الشفاعة ، ويقرعون باب الأمان ، ويرجون العفو والإحسان ، فأحضروا مفاتيح القلعة إذعاناً بالتسليم ، فشملهم السلطان بكامل عطفه ، وخلّصهم من القتال ، ومنح الكفار الأمان على أرواحهم

وأموالهم وأولادهم وعيالهم ، وعاملهم معاملة رعاياه في سائر ممالكه المحروسة ، وأُطلق سراح أسرى المسلمين الذين ما زالوا على قيد الحياة من صغير وكبير ، وصاروا أحراراً بعد أن فك قيدهم ، والحمد لله والمنة .

ثم قامت عساكر الإسلام المظفرة بتطهير قلعة رودس المنيفة من دنس أهل الكفر ، وتحوّلت معابد الأصنام والأوثان إلى مساجد لأهل الإيمان ، وأضحت معابر بيت الله الحرام آمنة من عبث الكفرة الفجرة ، وبالإضافة إلى القلعة المزبورة فقدفتحت أيضاً كل من استانكوي ، وتختهلو ، وبوردوم ، وغيرها من القلاع التي بلغ مجموعها ١١ قلعة ، وشملت كذلك كافة الجزر والأراضي وتوابعها ، وأضيفت إلى الممالك المحروسة ، والحمد لله حمداً دائماً الذي يسر لي ما لم ييسر لغيري .

ومن أجل إعلامكم بهذا الفتح الميمون والعظيم فقد أُرسل عبدنا الذواق (چاشنگير) أحمد زيد قدره ، وعند وصوله إن شاء الله تعالى عليكم نشر خبر الفتوحات ، وإظهار أنواع الفرح والمسرّات ، وتزيين المدينة لهذه الغاية ، والدعاء لدوام أيام الدولة والسلطنة .

بمخيم قلعة رودس

ملحق (٤)

رسالة الشاه إسماعيل إلى السلطان العثماني لتهنئته بفتح جزيرة رودس وتعزيته بوفاة والده السلطان سليم الأول[٢]

هو الله المستعان سليماً للمعدلة والسلطنة والنصفة والخلافة والحشمة والشوكة والظفر والجلال والإجلال سليمان ، خلّد الله تعالى ظلال سلطانه بين الملوك ، ونصر جنوده وأعضاءه الذين يقتلعون مآثر أعداء الدين ، ويقطعون دابر المشركين ، ويقمعون منابر الكفرو الكافرين ، وينصرون عساكر الإسلام وجيوش المسلمين إلى يومٍ يُنال فيه أجر العاملين ، وبعد الدعاء .

فقد وصلت عطور قبوله ونسائم مسك رياض الجنان إلى مشامّ سكان عالم الإنس ، وتفتحت المدائح بحصول الفتح إلى نسائ نَفَس الرحمن بإئعان عالم الجان ، وأزهرت براعم الحقل المقدّس ، وحلّت تحفة المجالس الشبيهة بالجنان وهدايا المحافل الخالدة بما يشبه حضرة الملك جَم[٣] ، وعظمة الإسكندر ، حيث ثبت مقام سليمان عوضاً عن دارا[٤] ، فقد كنت النظام والقدوة للأكاسرة المجاهدين عمدة القياصرة الملوك ، المشهور بالضمير الأقدس ، والكشوف بالخاطر الخطير الأنفَس ، وكأن هذا الفعل كان من أسرار

(٢) أتقدّم هنا بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور محمد التونجي الذي تفضل مشكوراً بترجمة هذه النصوص من الفارسية القديمة إلى اللغة العربية . والمصدر هو : فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ط ١ ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٣) جم : هو جمشيد الفارسي من أعظم ملوكهم لذا يضرب به المثل ، ويشبه به .

(٤) دارا : هو داريوش الذي حارب الروم وانتصر عليهم ، وحارب الفراعنة وانتصر عليهم .

الإمكان ، وأبدع نوع الإنسان كما يشهد عليه «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» وهذا ما لم يكن تصوره وإمكانيته ، وهو مع سمو شانه ، وعلو مكانته بحكم الآية الكريمة : «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**»(٥) ، وسيلة عبادة رب العالمين ، وذريعة إطاعة الشرع المبين والدين المتين ، وفضّل الجهاد بمقتضى الكلمة الطيبة : «**وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين**»(٦) ، مُبيّن ومُبرهن وواضح وجليّ ومقرر ومعين أن كل نصر للإسلام إنما يتم على الكفر ، والهدى على الضلال إنما يتم بتوفيق سبحاني ، وإعداد عناية ربّانية ، ويأتي هذا الفتح من وراء حجب الغيب ، ومن خفايا العوالم بلا ريب ، وإن سيماء هذا الفتح مؤدى بـ «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» . لم تُرَ مثل هذه المنّة العظيمة قبلاً عبر الأعوام والقرون الماضية ، ولم تكتمل بها عيون الأعيان ولا أولو الأبصار ، ولم تصل إلى مسامع العقلاء من أهل الاعتبار ، ولم تخطر على بال المتنوّرين وأصحاب الفكر الصائب .

ولا نشك بأن هذا النصر السعيد يفرح خالق الأرض والسماء ، ويسعد أرواح جميع الأنبياء المقدسة ، وأئمة الهدى ، وجمياع الأولياء ، وزمرة الأصفياء عليهم التحية الثناء ، ويستثلج صدور المتألمين بهذه البشرى بما منحت الدين من نعمة عظيمة ، وسعادة حسنة كريمة كبرى ، بمصداقية : «**يستبشرون بنعمة من الله وفضلٍ ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله**»(٧) .

كانت رحلة حضرة الملك العظيم ، أملّه الله الفردوس مكان العلّيين ، المقام الرفيع لحامي بيضة الإسلام ، وماحي دابر عبدة الأصنام ، الواصل إلى

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

(٦) سورة النساء : آية ٩٥ .

(٧) سورة آل عمران : آية ١٧٤ .

أعلى غـرف جنّات النعـيم ، المنعـوت : «**من أتى الله بقلب سليم**»[٨]عظّم الله معالي درجات السلف ، وأبّد مراقي قَدْر الخلف ، وإننا نعتبر هذا النصر أعظم من العيد الأضحى ، وأفخم سرور بشري ، جعله الله سعادة مآب عمدة العلماء العظام تاج الدين ، حسن الخليفة من الخلفاء المعتمدين القدماء في هذه الأسرة ، نرفع تهنئتنا بالفتوحات الكبرى ، متوجهاً إلى قبلة السعادة ومحرم الحرام كعبة الأماني والآمال ، تأكيداً لصفاء الوداد ، وتأييداً لصدق الاعتقاد ، والاعتماد ، والدعاء ، خلّدكم الله إلى يوم التناد .

(٨) سورة الشعراء : آية ٨٩ .

ملحق (٥)

جواب رسالة الشاه إسماعيل ، كتبها رئيس الكتاب جوري چلبي[٩]

حضرة الملك سليل الإمارة المنتسب إلى إسماعيل بن الشيخ حيدر الصفوي رشده الله تعالى ، المثال الشريف ، فاتح الدول ، السلطان الطغراء الغراء ، زينة العالم ، الملك ، الذي شهدت بلاده انبلاج الصباح والسعادة ، وشمس رايات الفتوح ، لقد جرى الفتح كما جرى الفتح المبين للدين المتين : الإسلام ، والطريق المستبين ، شريعة سيد الأنام ، عليه أفضل التحية والسلام .

وهذا جواب الكتاب ، ورد التحية والسلام ، حسب مضمون المصدوقة القديمة : «**فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**»[١٠] ، لقد وجب علينا جواب كتابكم ، والولاء من جملة الواجبات ، ومن قبيل المفروضات نحوكم .

من هذا الولاء الطائر السعيد الخصال ، والمُفعم باليُمن ، أعني مكتوبكم ، الذي ينضح بالمودة ، والمصحوب بالصداقة ، الذي يُعنوَن بالإخلاص ، وبالمحاسن الخالصة الطوية ، والمزين بالاختصاص ، بواسطة عمدة الخواص والمعتمدين ، زبدة أصحاب العز والتمكين تاج الدين حسن ، زاد الله مجده [شطر شعري] : في ساعة السعد والوقت المبارك . سهّل الله له زيارة السدة السنية للكعبة ، وجنى قبلة الإقبال التي يطوف حولها الطائفون من العالم ، وقبلة جمهور الزوّار من الأمم .

---

(٩) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ط ١ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(١٠) سورة النساء : آية ٨٦ .

ونتيجة للكلمات الطيبة في تهانيكم بالجلوس على سرير السلطنة ، وفتوح القلاع والدول ، وتعازيكم بوفاة سعادة الملك اسكنه الله الجنان ، عشّ الملوك ، وجنة المكان ، مالك نواصي الأمم ، سالك أقاصي الدول ، ناصر شعائر الإسلام والمسلمين ، قامع أفاعيل الفجرة والمتمردين [شطر شعري] : وضع الملك وأسس الممالك . الساكن أعلى درجات النعيم ، المتصف بـ : «**من أتى الله بقلب سليم**»[11] ، تغمده الله بغفرانه ، وبوأه حيث شاء من جنانه ، المضمونة [أي الرسالة] بالعزة ، والمشحونة بالمخبوء من أولها إلى آخرها ، وصلت إلى مسامع الأشرف الأعلى [شطر شعري] : أسمعَ الله المساري دائماً . وتقبلها تقبلاً حسناً ، ولما كان القاصد المومى إليه أمراً بواجب إبلاغ الرسالة بموجب : «**وقولوا للناس حسناً**» على أحسن الوجوه فقد أجازنا مقامه السامي بالكتابة ووجهنا بذلك .

ومن الله التوفيق سبحانه وتعالى دائماً لا تزال دار حكومتكم مزينة ومشرفة بحجة رعاية الشرع ، وامتثال أحكام الدين من الأصول إلى الفروع ، [والصلاة والسلام على] محمد خير العباد [وعلى] آله الأمجاد إلى يوم التناد ، جرى ذلك وحرر في الرابع عشر من شهر محرم الحرام لسنة ثلاثين وتسعمائة .

(١١) سورة الشعراء : آية ٥٦ .

ملحق (٦)

رسالة شاه شروان إلى الملك الغازي سليمان بمناسبة فتح رودس[١٢]

الحي الذي لا يموت ، خلد الله تعالى على كافة المسلمين ولاسيما للمخلطين ظلال عواطفه وإحسانه ، وزبّد على البرايا أيام خلافته ، وأعوام سلطنته وامتنانه ، بوحدانية واحدة التي هي ٣ صوت نداء : «**والله يدعو إلى دار السلام**»[١٣] ، وصل إلى مسامع سكان الأرض ، وذاق من حكمة الحكم من مشرب : «**كل نفس ذائقة الموت**»[١٤] مذاق روح أهل الإيمان : «**كل من عليها فان**»[١٥] ، التي من استماع شمس الفلك صنعت فتح العالم غرباً وأبدعت : «إن وعد الله حق»[١٦] . ومن خسوف القمر اعتدل الأوج ، وتم الفتح في عقدة : «**كل شيء هالك**»[١٧] ، حيث حل الهجوم المؤلم والاضطراب والإرهاص من كل باب ، وأحاط بهم من كل جانب ، بحيث لم تبق حاسة تحس أو تدرك المعقول [رباعية] :

بكى الدهر كثيراً في مأتمه ... وتلطخت شقائق النعمان كلها بالدماء
فتمزقت جيوب الثياب الأرجوانية ... وحلّ السواد على رقبة القُمري

وهذا غمٌ عمّ تفاصيل الأجزاء ، وألمٌ ألمّ بتباغيض الأعضاء ، ولكن كل

(١٢) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ط ١ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(١٣) سورة يونس : آية ٢٥ .

(١٤) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

(١٥) سورة الرحمن : آية ٢٦ .

(١٦) سورة غافر : آية ٧٧ .

(١٧) سورة القصص : آية ٨٨ .

القرائن مقررة ببرهان حدسي ، والزمرة العامة مصورة بقوة حسية ، والتي برهنت على عدم زوالها بتتابع أحداث شمس (الفلك) المملكة ، ولم تبزُغ ، وفي ساحة الزمان لم يهدم قصر الحشمة ، لأن البناء الراسخ مصون من الوهن والاختلال ، ولأن أفنان الفطرة الحمراء الأزهار لم تتفتح ، بسبب عدم هبوب دبور الافتراق ، وعدم اكتساء الوجود بثوب الخلود ، لأن يد القضاء لم تمزقها [بيت شعري] :

لم تزهر شجرة الدنيا في حديقة الورد

لأنها ظلت بعيدة عن ضربات الفأس

ولدي أصحاب البصيرة والعقل الأمرُ محقق ومعين أن أساس القدر الإنساني وميزان ترجح كفته ، لأن محل تصرفه ومقامه الرفيع ، ومنزله الممدوح هو نفسه الدنيا الفانية ، والآلام الجسمانية ، والإشارة بالبشارة : «يا ابن آدم خلقت العالم لأجلك ، وخلقتك لأجلي» ، دليل واضح وبرهان صريح لأن مرجع ومآب تلك الذات مستجمعة لجميع صفاتك : **«إنا لله وإنا إليه راجعون»** [شعر] :

أيها القلب إن طَهُر جسمك من غباره

غدوت بروحك المجردة بالفلك

فإن نشر طائر الروح المقبل ذيله من مضيق الحس في فضاء العالم الأقدس فلن يجزع أهل البصيرة ولن يفزعوا ، وإن نطق ببغاء الروح صاحبُ القلب من الضيق الحال به ، وجال في فسحة الديار فلا يجدر بأهل العلم أن يقنعوا بغير الرضا ، بالقدر والقضاء من أجل مقر السلطنة ، والعالم ، وسرير الخلافة ، والحكم ، وعليهم أن يهتموا بحراسة انتظام الدين والدولة والتئام أمور

الملك والأمة ، لأنهم لم يخلقوا عيون الآباء العلوية والأمهات السفلية ، ولم يصغوا إلى الروح والقلب لسكّان عالم الملك والملكوت ونداء العظمة وباني الدولة على مثل هذه الصفات السامية ، [شعر] :

حيٌّ من كان في دياره باقياً خَلَفُه [ابن] يذكره

والقصد من تنظيم هذه المقدمات هو الإقدام على تقديم مراسم العزاء للحدث الجَلَل ، والحادثة المحزنة والروح المحترقة ، والثواب والغفران عائد على الملك بالفردوس ، والغفران بمرتبة الرضوان ، حشره الله مع النبيين والشهداء ، وأحللكم على سرير عرش الخلافة والملكية بعزم ، مهنَّئين به ، وأنتم أهل لمُلك العالم ، الذي ستشملونه بعطفكم ورحمتكم ، رحمة ربانية تناسب العرش الملكي المظفر من السماء ، المنصور على الأعداء ، على أمل أن يحيط بكم نور حديقة السلطنة والتاج ، ونور حَدَقَة الخلافة والحكم ، وأن تكون ملكاً على الأرض ، حافظاً لبلاد المسلمين ، ناصراً شرع سيد المرسلين ، قالعاً آثار الكفر والضلال ، قامعاً بنيان الشرك على التوالي والاتصال ، كاسراً الكنائس ، وقاتلاً عبدة الأصنام ، ناصباً رايات الدين وأعلام الإسلام ، الغازي في سبيل الله ، المجاهد لوجه الله ، الميمون ذو النفس الطاهرة الأصل ، والزكية الفرع ، محمد الخُلُق ، وحيدر الفؤاد ، وسليمان القدر ، ودار الرأي ، إلى يوم قيامة حضرة العزة تعالى شأنه ، وعمّ إحسانه على سرير السلطنة ، ويد (دَسْت) القضاء ، ومقر الخلافة والرعية ، الحامي القائم والمتمكن ، ذو الشمائل الملكية المنزّهة صفاته من مكاره الأعوام ، والمصون من مكائد وحوادث الأيام ، المحفوظ المأمون ، إنه يسمع ويجيب ، اللهم كما أيدته بالخلافة أيده ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين . آمين .

ملحق (٧)

الجـــواب[١٨]

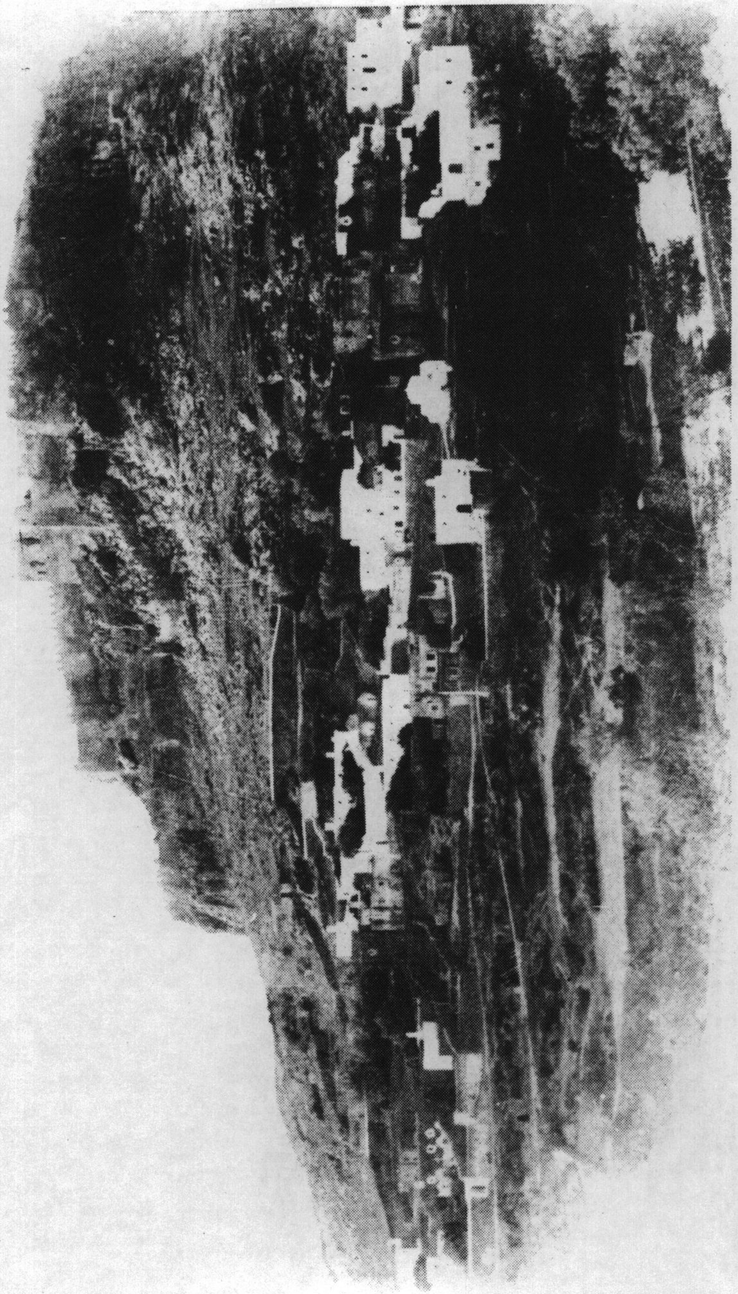
حضرة الأمير (سليل الإمارة) المنتسب إلى الشيخ إبراهيم بك دام توفيقه ، توقيع الرفيع المبارك السعيد الحظ ، مرسوم المسرة الذي يصدر عن العناية الفياضة النور الملكي ، بعد الاطلاع نعلمكم أنه حالياً تنضح أقالم البهجة ونوادر الأحزان من مكمن الموالاة والإخلاص ، ومسكن المضافات والاختصاص الجاري والساري من قِبل قدوة الأماجد الكرام ، عمدة الأماثل الفخام ، زائر الحرمين المحترمين ، الحاج حسين كُتبت سلامته في أرشد الحالات ، وأسعد الساعات ، إلى بلاط السلاطين . . وصلت إلينا وتشرفنا بها ، وأحطنا منكم بلوازم تهنئة الجلوس الميمون والفتح السعيد ، ومراسم عزاء حضرة الأب ، شمله الله مغفرته شهادةً مقرونة بمقعد الصدق : «إلا من أتى الله بقلب سليم» .

أسكنه الله في أعلى درجات النعيم ، في مفهوم السعادة ملازم محفوظ ، ومكتوم بأساس سرير عالم المصير معروض على الخاطر الأنور ، ومن الفاتحة إلى الخاتمة بالملاحظة الملكية مرتبط ، وبشرف الالتفات والرضا موصول . ولمّا كان المقصود المذكور قد أدى شروط الرسالة بحسن الأدب ، وبالإجازة العلية الميمونة ، وباح بلسان مقرّب ، طلق فلا حاجة إلى الإطناب ، وفقه الله إلى اجتثاث شأفة أصحاب الشقاء والاضطراب ، على أيسر الطرق ، ويسّر له أهوال أموال أصحاب الوفاء والوفاق على أحسم الوجوه المقدرة ، بجاه محمد خير البشر وآله وصحبه الأطهار .

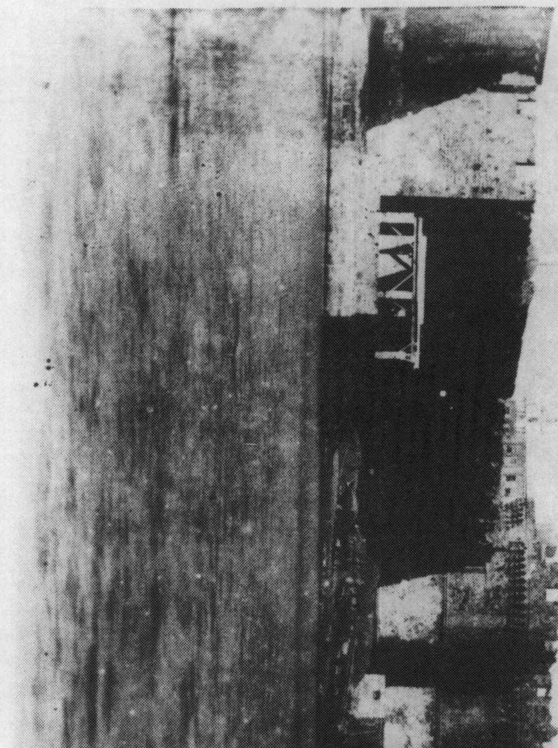
ووقع ذلك في الرابع عشر من محرم الحرام سنة ثلاثين وتسعمائة .

---

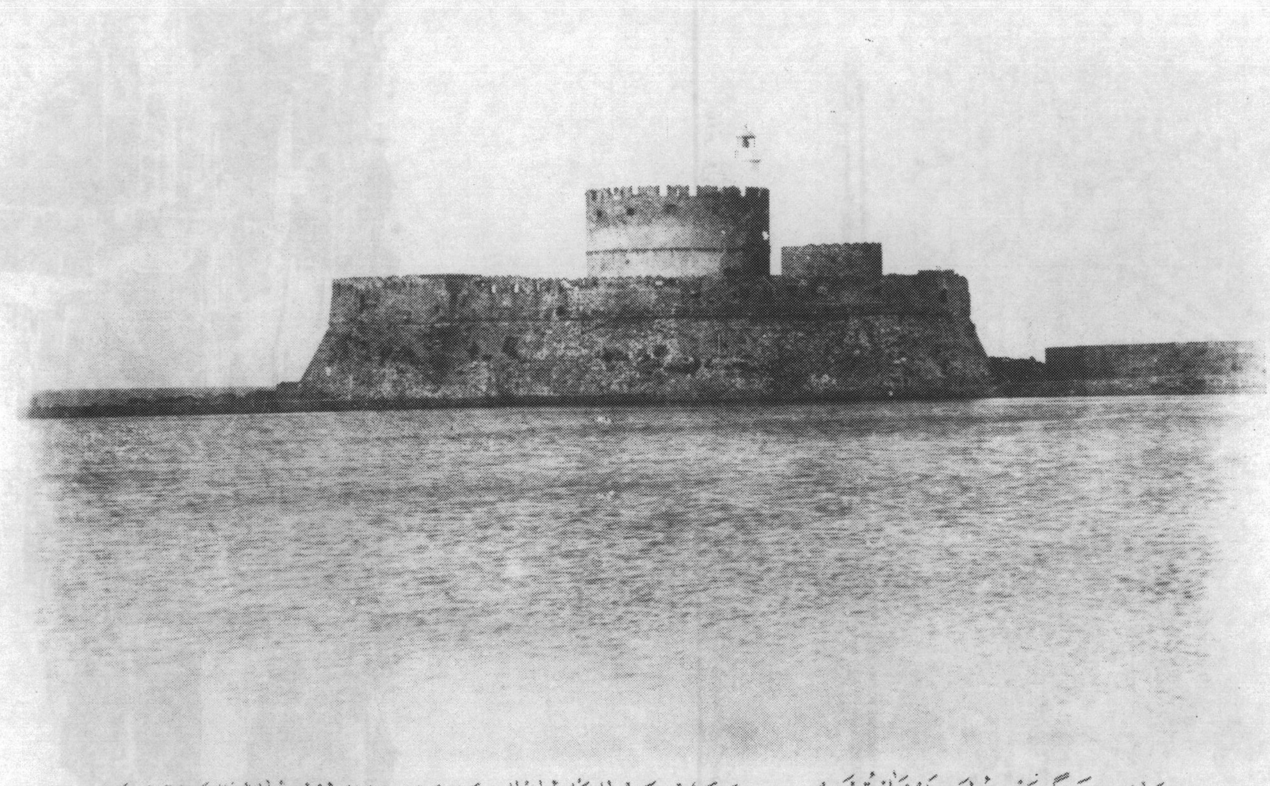
(١٨) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ط ١ ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .



قلعة جزيرة رودس

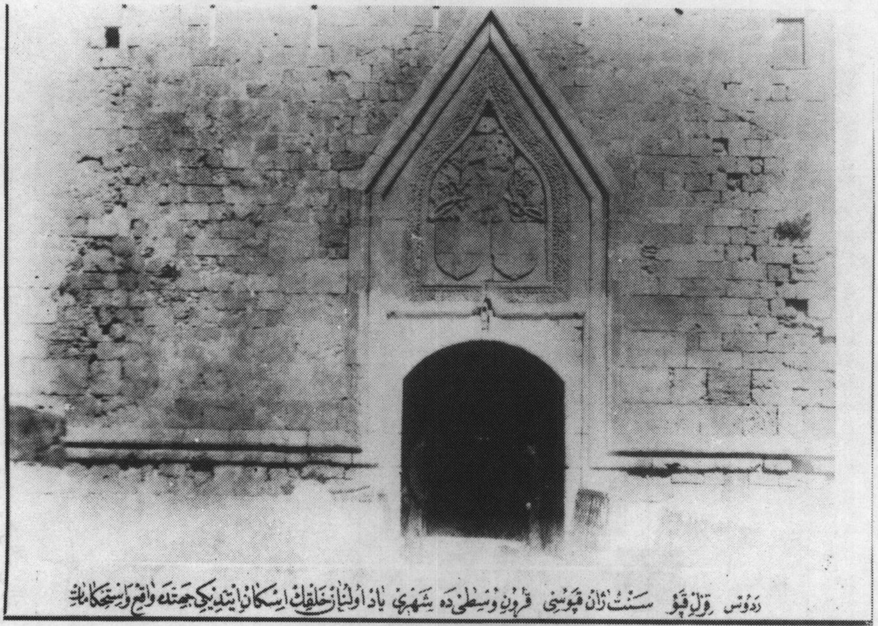


أسوار جزيرة رودس من البحر

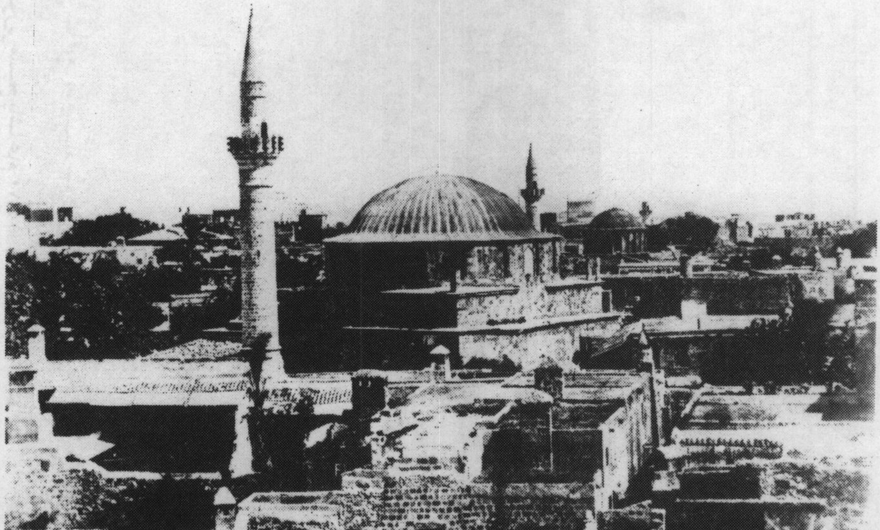


ردوس قديماً سن نيقوله دينلن فنار قوله سي ١٤٨٠ سنه سي مسيح پاشا قوماندانسيله سوق ايديلن اردوى همايونك فتح وتسخيره

قلعة القديس نيكولاس التي هاجمها الوزير مسيح پاشا عام ١٤٨٠



بوابة قزل قبو (أو قابى) Kizilkapi



إحدى مساجد جزيرة رودس

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ - فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ط ١ ، جـ ١ (استانبول ، ١٢٦٤) .
٢ - فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ (استانبول ، ١٢٧٤) .
٣ - إبراهيم پچوي ، پچوي تاريخي ، جـ ١ (استانبول ، ١٩٨٠) .
٤ - كاتب چلبي ، تحفة الكبار في عجائب البحار (استانبول ، ١٣٢٩) .
٥ - لطفي باشا ، تواريخ آل عثمان (استانبول ، ١٣٤١) .
٦ - جلال زاده صالح چلبي ، رودس فتح نامه سي رقم

Istanbul Universite Kütüphanesi No 2628

٧ - مؤلف مجهول ، فتح رودس ، ملت كتبخانه سي ، علي أميري ، تاريخ رقم ٢٨٩ Millet Kütüphanesi, Ali Amiri, Tarih No. 289

٨ - مؤلف مجهول ، رودس تاريخي (استانبول ، ١٣١٢) هناك عدة نسخ منه موجودة في استانبول وهي على النحو التالي :

Süleymaniye Kütüphanesi, Izmirli I. Hakki No. 2417
Millet Kütüphanesi, Ali Amiri, Tarih No. 288
Bayezid Devlet Kütüphanesi No. K. 22838

٩ - مؤلف مجهول ، فتح رودس ، نور عثمانية رقم

Nur-i Osmaniye Kütüphanesi No. 3170/3

١٠- جلال زاده مصطفى چلبي ، طبقات الممالك ودرجات المسالك ، مكتبة متحف طوب قابي

Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi E. H. 1289

١١- محمد ثريا ، سجّل عثماني ، (استانبول ، ١٣٠٨) .

١٢- صولاق زاده ، صولاق زاده تاريخي (استانبول ، ١٢٩٧) .

١٣- محمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، جـ ٤ (القاهرة ، ١٩٦١) .

١٤- محمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، جـ ٥ (القاهرة ، ١٩٨٤) .

١٥- نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، جـ ١ (بيروت ، ١٩٤٥) جـ ٢ (بيروت ، ١٩٤٩) .

١٦- شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ٤ ، القاهرة ، ١٣٥٤ .

١٧- طاشكبري زادة ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

١٨- قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (بيروت ، ب . ت) .

١٩- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، جـ ٣ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٢٠- إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين ، جـ ١ ، بغداد ، بدون تاريخ [ب . ت .] .

٢١- عبدالفلاح بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ ٨ (القاهرة ، ١٣٥١) .

٢٢- Mehmed Neşri, Kitab-i Cihan-Nümā: Neşri Tarihi, Yayinlayanlar Faik R. Unat Ve Dr. Mehmed A. Koymen, IIC. (Ankara, 1987).

ثانياً : المراجع العربية :

١ - محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د . إحسان حقي ، ط ٥ (بيروت ، ١٩٨٦) .

٢ - د . سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ط ١ (مصر ، ١٩٥٦) .

٣ - محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي : ٨ العهد العثماني ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨٧)

٤ - نيقولا ڤاتان ، «صعود العثمانيين ١٤٥١ - ١٥١٢» ، تاريخ الدولة العثمانية ، إشراف روبير مانتران ، ترجمة بشير السباعي ، جـ ١ ، (القاهرة ، ١٩٩٣) .

٥ - د . عبدالرحيم عبدالرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٨٦) .

٦ - محمود السيد الدغيم ، «أضواء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني» ، ندوة الحضارة الإسلامية وعلم البحار ، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٧٩ - ٤٣٧) .

٧ - جوناثان رايلي سمث ، الإسبتارية : فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ - ١٣١٠م ، ترجمة صبحي الجابي ، ط ١ ، (دمشق ، ١٩٨٩) .

٨ - منير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، ط ١ (بيروت ، ١٩٩٠) .

٩ - حسن سعيد الكرمي ، الهادي إلى لغة العرب ، ط ١ (بيروت ، ١٩٩١) .

١٠- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ٨ (بيروت ، ١٩٨٩) .

١١- د . فيصل الكندري ، «رسالة السلطان سليمان القانوني إلى حاكم البحرين» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٧ (جامعة الكويت ، إبريل ١٩٩٥) ص ٨١ - ١٠٦ .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1. The New Cambridge Modern History, edited by G. R. Elton, vol. II (Cambridge, 1958).
2. Norman Housley, The Later Crusades 1274 - 1580 (Oxford, 1992).
3. Afif Büyüktugrul, Osmanly Deniz Harp Tarihi, C 1 (Istanbul, 1970).
4. Philip Zaleski, "Knights Hospitallers", PARABOLA, vol 15, winter 1990, pp 55 - 62.
5. Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, C II, 5 bas. (Ankara, 1988).
6. A. t. Luttreff, "Venice and the Knights Hospitallers of Rhodes in the Fourteenth Century", Papers of the British School at Roma, V. 26, 1958, pp 195 - 212.
7. Colin lmber, The Ottoman Empire 1300 - 1481, (istanbul, 1990).
8. V. G. Parry, "The Reigns of Bayezid II and Selim I 1481 - 1520" in A History of the Ottoman Empire to 1730, Edited by M. A. Cook (Cambridge, 1976).
9. Palmira Brummett, "Foreign Policy, Naval Strategy, and the Defence of the Ottoman Empire in the Early Sixteenth Century" International History Review (Canada) XI, 4, 1989, p 613 - 627.
10. Palmira Brummett, "The Overrated Adversary: Rhodes and Ottoman Naval Power" Historical Journal (Great Britain) 1993, 36 (3) pp 517 - 541.
11. Andrew C. Hess, "The Evolution of Ottoman Seaborne Empire in the Age of the Oceanic Dicoveries, 1453 - 1525" American Historical Review, Vol IXXV, 1970, pp 1893 - 1919.

12. Faisal Alkanderi, The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century, ph. D. Thesis, University of Manchester, 1992.

13. Dr. Yasar Yücel and Dr. Ali Sevim, Türkiye Tarihi, C. II (Ankara, 1990).

14. Fehmi Edhem Karatay, Topkapi Sarayi Kütüphanasi Arapca Yazmalari Katalogu, C III, (Istanbul, 1966).

15. The New Encyclopaedia of Britannica, vol 6, 15th edition, 1991.

16. Merit Students Encyclopaedia, (New York, 1983), vol. 16.

17. Grolier Academic Encyclopaedia, (U. S. A., 1987), vol 16.

18. Meydan Larousse: Büyük Lugat ve Ansiklopedi. (Istanbul, 1972).

19. Şerafettin Turan, "Rodos'un Zaptindan Malta Muhasarasina" Türk Tarih Kurumu (TTk), Kanuni Armagani (Ankara, 1970) s 47 - 117.

20. Jonahtan Riley, Smith, The Atlas of Crusades (New York, 1991).

21. Dr. Erdogan Mercil, "The Anatolian Principalities" in the Short History of Turkish - Islamic States (Ankara, 1994).

22. Paul Wittek, The Rise of the Ottoman Empire (London, 1938).

Minaḥ Rabb Al-bariyya fī Fatḥ Rodos Al-'abiyya by 'Abd-Arraḥim bin 'Abd-Arraḥmān Al-'Abbāsi

ABSTRACT

There are many Arabic Manuscripts scattered in many countries in the world. The Republic of Turkey is considered to have a large quantity of them. While working in the Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi a rare manuscript was discovered under Hazine No. 1599. The manuscript is called: Minaḥ Rab Al-bariyya fi Fatḥ Rodos Al-Abiyya and written by 'Abduraḥim bin Abduraḥmān Al-'abbāsī who is descended from a family with many kadis among its members.

Abduraḥim was born in Cairo on Saturday 24th Ramaḍan 867h./12 June 1463. He studied literature and sharī a sciences at the havds of many famous scholars at his time. He lived in Cairo until it came under the Ottoman rule in 923h./1517, then he went to Constantinople where he stayed until he died in 963h./1556.

Al-'abbāsī composed a number of great works in different fields, and this manuscript is one of the most important. It has a great value because it is written by the author who participated in the Ottoman campaign against Hospitalers of Saint John in Rhodes. This manuscript is a rare and unique.

Al-'abbāsī supplies us with important information about the Ottoman campaign against Rhodes in 928h./1521. He shows the road that Sultan Sulaiman I took from Constantinople to Rhodes. He mentions the places that the Sultan passed by during this journey describing its climate and fortifications. He gives also valuable information about the Ottoman siege of Rhodes. These information could be considered as a daily memoirs about

the siege until the Hospitalers agreed to surrender on the condition that the Ottomans allow them to leave. So they left the island freely in 923h./ 1523.

This study is an attempt to publish this manuscript. It is divided into three main chapters. The first one describes the institution of the Hospitalors of Saint John and their settlement in Rhodes. It also shows the Ottoman - Rhodian relations with an emphasis on the Ottoman attempts to capture the island.

The second deals with two main aspects: firstly the author's biography and giving some information about the manuscript. Secondly the manuscript's main points that Al-l-'Abbāsī tried to explain concerning this attempt of Sultan Sulaiman I to seize the island, comparing what Al-'Abbāsī states with other contemporary Turkish and Arabic sources.

The final chapter deals with publishing the manuscript with notes and comments.

This study is illustrated with some maps and appendixes which contain summaries and Arabic translations of some Ottoman documents that are related to the topic. There are also few old pictures that are published here for the fist time.